مساهمة مولانا أبو الكلام آزاد
في الصحافة العربية في الهند

صهيب عالم

الإهداء

إلى من لا ينضب ينبوع محبتهما وكرمهما

إلى من لا ينتهي بحر خيرهما

إلى اللذين ربياني صغيراً فأحسنا تربيتي وتأديبي

إلى ...... أمي وأبي

فهرس

تقديم

إن للهـــند دوراً بارزاً في تطوير اللغة العربية. وللهنود إسهامات كبيرة في تطويـــر اللغة العربية وآدابها، وهذه حقيقة باهرة لا يستطيع رفضها كل من يتولى مســؤولية البحث والتحقيق عن العلوم الدينية الإسلامية والإنتاجيات الأدبية في شـــبه القارة الهندية، ولقد أنجبت الهند عدداً كبيراً من رجالات اللغة و الإنشاء و الأدب وجهابـــذة الدين والعلم والعرفان الذين كانوا يمتلكون ناصية اللغة العربية وآدابها بمختلف نواحيها وأشكالها، وقد شهد لهم علماء العرب وكتابهم بالفضل، ومـــن انكبوا على كتب العلماء والأدباء الهنود ينقلون ويستنبطون منها دلائلهم وبراهينهم.

وقد بدأت النشاطات في مجالات اللغة والأدب في الهند على أيدي التجار والعلمـــاء العـــرب الـــذين قد استوطنوا في بادي ذي بدء سواحل الهند الغربية والجنوبـــية في القـــرون الأولى للهجرة، ثم نزح الكثير من العلماء الأفذاذ والأدباء الـــبارزين إلى هـــذه البلاد من شتى الدول الإسلامية لاسيما من آسيا الوسطى، وتوطـــنوا بمناطق الهند المختلفة، وبذلوا مساعيهم المشكورة في نشر التعاليم الدينية الإسلامية، ولم يألوا جهداً في إنعاش الأدب العربي في هذه المنطقة من العالم، وقد

تـــركت جهودهم الجبارة هذه بصمات عميقة على العديد من لغات الهند وآدابها وثقافاتها وأفكارها العلمية والدينية.

وبعـــد هؤلاء العلماء العباقرة جاء دور العلماء والكتاب الذين تولدوا في الهند ونبغوا في اللغة العربية وآدابها، فخلفوا وراءهم آثارهم الرائعة وأعمالهم القيمة في المواضـــيع الدينـــية الإســـلامية والأدبية التي لا تزال تباهي الإنتاجيات اللغوية والأدبـــية والعلوم الإسلامية في أرجاء العالمين العربي والإسلامي، ومن الملاحظ أن المســـلمين الهـــنود كانوا ولا يزالون يحافظون على تراثهم الثقافي والعلمي والأدبي ويفتخرون به، ولا يدخرون جهداً لتطوير ثقافتهم اللغوية والأدبية.

وعلـــى أيـــة حال فإن القرن العشرين يمتاز عن القرون الماضية جميعاً فيما يـــتعلق بتطوير اللغة العربية وآدابها في الهند وذلك لأسباب عديدة، بما فيها كثرة المعاهد الدينية والمؤسسات الثقافية والمراكز التعليمية وظلت هذه المراكز والمعاهد تعـــتني اعتـــناء بالغاً بتدريس اللغة العربية وآدابها، وكذلك انتشار المطابع الحديثة وتسهيلات الطباعة المتوفرة في معظم أرجاء الهند، وصدور المجلات والجرائد العربية والتسهيلات في النقل، والترجمة، وإضافة إلى هذا كله لقد أخذت الصلات الهندية والعـــربية تـــتوثق من جديد منذ اكتشاف البترول في الدول العربية، كما بدأت العلاقات التجارية والاقتصادية والسياسية بين هذين القطرين تتدعم يوماً بعد يوم فاكتسبت اللغة العربية أبعاداً أوسع في المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية،

والفــــرص المتزايدة في الدول العربية في مجالات الاقتصاد والتجارة استرعت انتباه غير المسلمين كذلك إلى تعلم اللغة العربية نطقاً وكتابةً، ومن جراء هذه الأسباب وغيرهــــا قد كثرت خلال القرن العشرين إنتاجات العلماء والكتاب الهنود الأدبية والعلمـــية بحـــيث أصبح من المستحيل أن يقوم أحد بحصر عددها فضلا عن أن يتحدث عن موضوعاتها وميزاتها وأساليبها.

وتجـــدر الإشارة هنا إلى أن إنتاجات العلماء والكتاب الهنود ظلت تقتصر خلال القرن العشرين على موضوعات دينية إسلامية بحتة و لم يكتبوا على الإطلاق في الموضـــوعات الأدبية الحديثة مثل القصة والمسرحية والرواية، وظلوا كذلك لا يهـــتمون بالموضـــوعات الـــتي لهـــا أهمية كبيرة في التاريخ الإسلامي كالجغرافيا والاجتماع والعمران والسياسة والرياضة وعلوم النجوم والفلك وما إلى ذلك.

ومع هذا كله، فقد شهدت أرض الهند في القرن العشرين عديداً من الأدباء والكـــتاب الـــذين نالوا شهرة واسعة، وتضاهي أعمالهم الأدبية والعلمية أعمال الأدباء العرب الكبار.

وأنا أخص بالذكر عن مولانا أبو الكلام آزاد. والواقع أن الهند تفتخر بالعديد من العلماء والكتاب الذين تمتعوا بقدرة فائقة في اللغة العربية وتضلعوا من آدابهـــا وتبحروا في فنونها القديمة والحديثة و كان لهم إطلاع واسع على الأساليب العصـــرية الممـــتازة، لهـــؤلاء الأعلام البارزة كتب في موضوعات الأدب والنقد

والاجـــتماع والسياسة، كما يكتبوا المقالات العلمية والقصص الدينية الإسلامية، وإنهـــم كانوا يقدرون على كتابة القصص في موضوعات مختلفة، وكذلك اشتهر بعض العلماء في الهند في مجال الصحافة، فمقالاتهم المنشورة في شتى الموضوعات لا تقل أهميتها عن مقالات الصحفيين العرب العلمية والاجتماعية والدينية.

وفيما يتعلق بهذا المقال، أود أن اعترف بكل صدق وصراحة أن الموضوع الذي اخترته للبحث تحت برنامج منحة من قبل المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهـــي لـــيس بجديد بالمعنى الحقيقي للكلمة، ولست أنا الوحيد الذي قد تناوله للبحث والدراسة، وقد سبق أن قام بعض الباحثين والكتاب بمعالجة هذا الموضوع دراســـة وتطبيقاً، إلا أن هذا المقال يختلف عن جميع الأعمال الأخرى المتعلقة بهذا الموضوع، ويمتاز عن الجميع بسبب كونه مشتملا على الموضوع بكل نواحيه، فقد قمت بالبحث والتحقيق في هذا المقال عن معظم الإنتاجات الصحفية التي حررت تحـــت رياســـة أبو الكلام آزاد باللغة العربية خلال القرن العشرين في جميع أنحاء الهند. وما قدمه من خدماته الجليلة في مجال الصحافة العربية.

هذا المقال يشتمل على ثلاثة أبواب وهي :

الـــباب الأول: وتحـــدثت في الفصل الأول عن حياة أبو الكلام آزاد و خدماته و كتبه وأفكاره وتسامحه الديني.

البـــاب الثاني: وناقشت في هذا الفصل عن بداية الصحافة العربية في الهند ومجلة " الجامعة " وأهدافها وأغراضها.

وفي **الباب الثالث** تحدثت عن مجلة "ثقافة الهند" ومساهمتها في تطوير اللغة العربية و الصحافة العربية في الهند.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الموضوع الذي تناولته للبحث والتقييم إنما هو موضوع طويل متشعب وذو نطاق واسع ومشتمل على نواحي عديدة ولأجل ذلك لقد واجهت في إعداد هذا المقال كثيراً من الصعوبات والمشاكل ، لأن المواد المتعلقة بالموضوع كانت منتشرة في المكتبات الهندية المختلفة بما فيها مكتبة المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ، نيودلهي، ومكتبة الجامعة الملية الإسلامية ومكتبة جامعة جواهر لال نهرو ومكتبة جامعة همدرد، وتوجد هذه المكتبات كلها في دلهي. ومن الجدير بالذكر هنا أنني وجدت مسؤولي هذه المكتبات وأعضائها مستعدين دائما للترحيب والمساعدة، فأقدم إليهم جميعا جزيل الشكر والامتنان.

وأمـــا المكتـــبة التي استفدت منها أكثر بكثير، هي مكتبة المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي. قد وجدت فيها معظم الكتب والمؤلفات عن حياة أبو الكلام آزاد و عن صحافته الأردية والعربية. وساعدني مسؤلو هذه المكتبة للغاية، فأقدم شكري الجزيل بوجه خاص إلى السيدة ميناكشي ميشرا و السيدة آنجم آرا

والسيدة كهكشان اللآتي قدمن إلي كل ما كان في وسعهن من تسهيلات ومساعدات وتوجيهات، فلهن شكري وامتناني من أعماق قلبي.

وفي هذه المناسبة أود أن أبدي مشاعر العرفان والتقدير تجاه أستاذي د/ عبد الماجد القاضي وأخي د/ نسيم أختر اللذان أتاحا لي فرصة كبيرة للاستفادة منهما. وقدما إلي من توجيهاتهما القيمة وإرشاداتهما الغالية.

وأخرا ليس أخيراً أشكر الأخ عفان أحمد بيغ الذي ساعدني كثيراً خلال هذه المدة لتوفير بعض المواد من المكتبات الأخرى.

وحاولت في كتابة هذا المقال بأن أبلغ إلى الكمال وليس الكمال إلا الله وحده، فأدعو الله أن يتقبل هذه الجهود المتواضعة ويجعلها وسيلة لي للنجاح في الدنيا والآخرة.

صهيب عالم

الباب الأوّل

مولانا أبو الكلام آزاد

مولانا أبو الكلام أزاد:

أنجبت الهند الشخصيات الفذة ذات الجوانب المتعددة التي حافظت على الثقافة الهندية المشتركة و المركبة العريقة. منها : جواهر لال نهرو و مهاتما غاندي و منها مولانا أبو الكلام آزاد.

أبو الكلام آزاد مصلح هندي كبير عاش نحو السبعين عاما، قضاها في إيقاظ العقول والضمائر والهمم وإثراء اللغة العربية والأردية وقد اجتمعت في الرجل صفات الزعامة الدينية والسياسية، فكان لعظمته وروعته أكثر من وجه، إلا أن أهم ما تميزت به هذه الشخصية النادرة المغيبة عن حياتنا الثقافية والفكرية، هو إدراكه العميق للأمور،غزارة علمه، وملكته النادرة عن البيان، وقدرته الفائقة على استشراف المستقبل، وبعده عن جمود التعصب، ورغبته الدفينة في الإصلاح، وسجيته النقية التي كانت تنظر إلى بعض بين جلدته الذين يرشدون الاستعمار البريطاني عليه، ويشهدون ضده في المحاكمة قائلة: "إني أعلم أن صوت الضمير يوبخكم في أعماق سرائركم على ما تعلمونه، ولكنكم اضطررتم إليه اضطرارا، لأنكم لا تملكون ما تسدون به عوزكم، وترزقون به أهليكم، وليس فيكم قوة لتحمل البأساء والضراء في سبيل الحق، فلذا لا أحنق عليكم، بل أعفو عنكم، واستغفر الله لكم."

ميلاده وفاته:

ولـــد مـــولانا أبو الكـــلام آزاد في مكة المكرمة من أب هندي و أم عربية عـــام ١٣٠٦ هـــ /١٨٨٨م[١] وسمي باسم "محي الدين أحمد"[٢] وانتقلت الأسرة بعد مولده بسنتين من مكة المكرمة إلى مدينة كولكاته و كانت أمه بنت عالم فاضل من المدينة المنورة و التي انتقلت إلى رحمة الله بعد مجيئها إلى الهند بعام واحد. و كان والده قد مكث في مكة لمدة ثلاثين سنة.

أســـرة أبو الكلام لم تكن هندية الأصل، بل وفدت إلى الهند من بلاد الأفغان أيام الإمبراطور الهندي "بابر" ، وقد نشأ والده "خير الدين" يتميا، فكفله جده لأمه ورباه تربية دينـــية صوفية، ثم ما لبث الجد أن اصطحب حفيده إلى مكة المكرمة عندما رأى الإنجليز يمزقون دولة الإسلام في الهند، لكن أميرة إمارة "بهوبال" الإسلامية " سكندر جيهان بيكم" استوفقته وأبقته سنتين في إمارها، ثم أذنت له باستكمال رحلته، لكن الجد توفي في ممباي وأكمـــل الحفيد خير الدين الرحلة فوصل مع بقية أفراد أسرته إلى مكة، وقد تجاوز عمره حينها الخامسة والعشرين[٣].

اســـتقر خير الدين في مكة، وتزوج من ابنة أحد كبار العلماء وهو الشيخ "محمد طاهر الوطري" التي أنجبت له أبو الكلام أزاد.

وتوفى مولانا آزاد في ٢٢ فبراير ١٩٥٨م[٤] وغربت هذه الشمس بعد أن أشرقت أجـواء الهند لمدة طويلة ومنحت الخير والنور لمواطني الهند وهكذا فقدت الهند شخصية عرفتها كل ذرة من أراضيها. وتوفى آزاد ولكن اسمه يظل ينبوعا من نور ومحبة ولا يمكن أن ينساه كل من يحب الوطن والسياسة الإيجابية والأدب العريق.

دراسته:

و مـولانا أبو الكلام آزاد لم يلتحق بمدرسة أو كلية أو جامعة و لم يحصل على شـهادة رسمـية من أي معهد من المعاهد العلمية، بدأ دراسته كعادة أسرته و كان والده حريصـا على حسن تربية ابنه و تعليمه فلم يرسل ابنه مثل أبناء الآخرين إلى المدارس بل أخذ يعلمه هو بنفسه و كان يستدعي له المدرسين الماهرين في المترل فكانوا يتولون تعليمه تحت رعايته و توجيهه ثم استمر في دراسته بقراءة واسعة و فكرة وقادة و ظهرت علامات الذكاء و النبوغ عليه ففاق أقرانه و تخرج في عام ١٩٠٤م[٥].

ووفقا للتقاليد السائدة لمسلمي الهند منذ زمن قديم و التي لا تزال معمولا بها إلى حد ما حتى يومنا هذا، بدأ آزاد دراساته بتعليم اللغة العربية و حفظ القرآن عن ظهر قلب و قـراءة كتب الحديث و التفسير و غيرهما من العلوم الإسلامية بالإضافة إلى تعلم اللغة الإنجليـزية و طـبعا كانـت الأردية لغته الأم، و انهمك في القراءة و الكتابة و رغب في السياسة حتى أصبح أحد قادة مسلمي الهند آنذاك و كان له دور كبير في إيقاظ المسلمين من سباتهم العميق و دعوتهم إلى حركة التحرير.[٦]

رحلاته:

كانـــت الهند في مطلع القرن العشرين الميلادي تموج تهيج بالسخط على الاحتلال الإنجليـــزي، وأدرك المستعمرون الإنجليز ضرورة شق الصف بين الشعب الهندي بإحداث فتـــنة بين المسلمين والهندوس حيث أخذوا يظهرون التقرب للمسلمين. وفي عام ١٩٠٥م أعلن الإنجليز تقسيم منطقة البنغال إلى قسمين أحدهما للمسلمين، والآخر للهندوس، فاعتبر المســـلمون ذلك إنصافا لهم، أما الهندوس فامتلأت نفوسهم بالشك تجاه المسلمين، إلا أن الإنجليز ألغوا قرار التقسيم سنة ١٩١١م.

وفي هـــذه الفتـــرة حاول أبو الكلام الاتصال بكبار الثوار الهندوس، وفتح قنوات اتصال معهم لإزالة شكوكهم تجاه المسلمين وإقناعهم بقبوله في صفوفهم.

قام آزاد برحلة إلى البلدان الإسلامية للتعرف على أفكارها وأحوالها عن قرب سنة ١٩٠٨م وكان العالم الإسلامي في تلك الفترة قد بدأ في التفاعل مع الأفكار الثورية لجمال الدين الأفغاني حيث كانت الدعوة الإصلاحية للإمام "محمد عبده" وتلميذه "رشيد رضا" فجـــاء آزاد إلى القاهـــرة ودعـــوة الأفغاني ومحمد عبده ومصطفى كامل تجد صداها في المصريين واتصل برجال الأزهر، ووقف على مناهجه وطرق الدراسة فيه.

واستمرت رحلاته ابتداء من عام ١٩٠٨م فسافر إلى تركيا والبلدان العربية ليتضلع في العلـــوم الدينـــية وإلمامه بالحركات الدينية و الوطنية في هذه البلدان كي يتعرف على

تطـــوراتها و حـــنكة زعمائها و شخصياتها المشهورة، واستفاد منها الطرق التي يجب أن يسلكها في مجال توعية الشعب و بث روح الثورة في نفوسه ضد المستعمرين، وذلك من خلال الدروس و قراءة الصحف و الاستماع إلى الخطابة. و من مصر اتجه إلى تركيا ثم إلى بلدان أوربا حيث زار فرنسا و تعرف على أسلوب الحياة فيها و كان لهذه الرحلات أثر بالـــغ في تكـــوين شخصيته فأصبح يعالج الأمور بالنظر إلى المنفعة الجماعية لا إلى المنفعة الشخصـــية و بذل جهودا جبارة في دعوة المسلمين إلى الوحدة، وذلك عن طريق مجلاته وصحفه التي كانت تصدر في اللغة الأردية[٧].

وخـــرج مـــن رحلته هذه بضرورة إحياء الروح الدينية واتخاذها أساسا للنهوض والتحـــرر مـــن الاســـتعمار دون تعصب ديني، ومن ثم اتخذ علنيا لإحياء الروح الدينية للمسلمين بدلا من العمل في الجمعيات السرية.

آزاد كالمفسر:

لقد كانت لمولانا أبو الكلام آزاد نظرة عميقة في القرآن الكريم، حصل عليها من خـــلال قـــراءته المستمرة للقرآن و مآثر السلف الصالح و هذا ما أقره في مقدمة ترجمته للقرآن.

و إذا أردنـــا أن نحـــدد اتجاه إمام الهند أبو الكلام آزاد في ترجمته وتفسيره للقرآن الكـــريم وجدنا أنفسنا أمام شخصية متعددة الجوانب واسعة المدارك بعيدة الأغوار جمعت

من الأوصاف الخلقية و السمات الفكرية والمعارف الإنسانية ما لا يستطيع الباحث أن يجد لها مفتاحا يتوصل بها إلى أعماقها[٨].

فسر آزاد القرآن الكريم باللغة الأردية، في كتابه للتفسير" ترجمان القرآن" ووصل إلى "سورة المؤمنون" و لم تنقطع علاقته بالقرآن الكريم طوال سنوات حياته، وكان يرى أن مـــن ضرورات الإصلاح الديني العمل على تعليم القرآن وفهمه بأسلوب عصري، وطبقا لمقتضياته، ودعا إلى فهم القرآن بعيدا عن قيود حددها المفسرون السابقون.

واســـتطاع في تفســـيره أن يحقق شخصية "ذو القرنين" الواردة في سورة الكهف ويحـــدد مكانهـــا تحديدا تاريخيا عميقا، وخلص إلى أنه هو "كورش الثاني" الملك الفارسي استنادا إلى التاريخ اليهودي والفارسي، كما استطاع تحديد مكان سد "يأجوج ومأجوج" وحوى تفسيره بعض الخرائط والصور الأثرية والتوضيحية.

ولا شـــك أن تفسيره كان تفسيرا جديدا أنيقا يوافق بعقيدة أهل السنة والجماعة وطريقة السلف الصالح، وأنه حقق بعض الموضوعات وأصاب في مباحثه في أكثر الأحيان.

آزاد كالصحفي:

تأثر آزاد بمنهج الشيخ رشيد رضا الذي أختاره ولمجلته "المنار"، وأدرك دور مجلة " العـــروة الوثقى" التي أصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في إيقاظ شعور المسلمين ضد الاستعباد والاستبداد، فقام بتأسيس جماعة دينية سماها "حزب الله"، ثم أسس مدرسة

سماهـــا "دار الرشـــاد"، ثم أخذ يعد العدة لإصدار مجلة "الهلال" التي اتخذها منبرا لدعوة المســـلمين إلى التحرر العقلي والسياسي، وقام بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الأردية كي يفهمه المسلمون في الهند ويستفيدوا منه حق الاستفادة ولا يعيشوا في عزلة عن معانيه[9].

وصدرت الهلال أسبوعية وصدر عددها الأول مـــــــــن كولكاته في ١٢ يونيو ١٩١٢م وأنشـــأ مطبعة خاصة لها، ونال قبولا واسعا في أوساط المسلمين، وبلغت كمية تـــوزيعها (٢٥) ألف نسخة أسبوعيا، وهو عدد ضخم جدا في تلك الفترة، وطار بمجلة "الهـــلال" اســـم أبـــو الكلام آزاد في أرجاء الهند، وظنه الناس كهلا كبيرا حنكته الحياة والتجارب حتى أخرجت منه هذا الرحيق من الأفكار البديعة للبيان، ولم يعلموا أنه شاب في مقتبل العمر[10].

كانـــت الهـــلال نقطة تحول في تاريخ الصحافة في الهند، وخاصة من منظور واقع المسلمين، فهي كانت مدرسة للدين القويم والوطنية والحرية، يقول عنها أحد كبار علماء الهند وهو محمود الحسن: " كدنا ننسى مهمتنا فذكرتنا بها الهلال".[11]

لم يســـتطع الإنجليز أن يصبروا طويلا على النهضة الفكرية والروحية التي أحدثتها "الهـــلال" فقرروا إغلاقها في شهر يونيو ١٩١٥م، لكن آزاد لم يتوقف سيلان قلمه، ولم ينكســـر قلبه العاشق للحرية الصادقة، فلم تمض إلا شهور قليلة حتى أصدر مجلة " البلاغ" في ١٢ نوفمـــبر ١٩١٥م، ولكنها سرعان ما أغلقت بقانون الطوارئ بعد عدة أشهر من صدورها، ثم أبعد عن كولكاته ومنع من دخول ولايات "البنجاب" و " دلهي" و"ممباي"،

فقصد إلى البنغال واستقر بمدينة "راتشي" التي ألف فيها تفسيره للقرآن الكريم، وترجم إلى اللغة الأردية.

آزاد في ضوء مؤلفاته:

اختـــرنا ثلاثة مؤلفات لمولانا أبو الكلام آزاد "تذكرة"،و"ترجمان القرآن"، و"غبار خاطـــر"، لتناول سيرته شابا وكهلا وشيخا، ألف "تذكرة" وهو كان في مقتبل شبابه، ممتلـــئا بالحـــيوية والنشاط. واتجه إلى التفسير عند ما نضجت أفكاره وترسخت تجاربه. وكـــتب " غـــبار خاطـــر"بوصوله إلى عتبة الشيخوخة. هذه الكتب الثلاث من مؤلفاته العديـــدة، علـــى اخـــتلاف مواضيعها وأساليبها، وهي تعطي فكرة جلية عن خصائص شخصيته في المراحل المذكورة[١٢].

استمد مولانا أزاد أفكاره ونظرياته من القرآن وتعليم الدين الإسلامي الحنيف. ووجدت ميوله ونزعاته الدينية نفسها انعكاسا في المؤلفات المذكورة. فترجمان القرآن – كما يتضح باسمـــه – كتاب يتناول موضوعا دينيا بحتا، وكذلك الأمر بالنسبة " لتذكرة" التي تتركز على الدين أكثر من أي شي آخر. أما عن " غبار خاطر" فإنه يعرف بقيمته الأدبية، لكنه يتضمن في ذات الوقت رسائل تتطرق إلى " التوحيد" و"أهمية الدين" وتلك تعالج المواضيع الخاصـــة معالجة تفوق على الكتب المؤلفة حولها. هذه المؤلفات تتغاير أسلوبا وموضوعا بحسب الأزمنة ، وشأنها في ذلك شأن السور القرآنية التي يمكن تمييز المكية منها عن المدنية بالنظـــر في الأســـلوب والموضـــوع. وبالرغم من هذا ترتبط جملة مؤلفاته بعضها لبعض

كحلقـــات في سلســـلة واحدة، وفيها دلالة على أن مولانا آزاد عاش حياة فكرية أصيلة ومتماسكة بعيدة عن الشذوذ والشرود. إنه أكمل تأليف "تذكرة" وهو كان ثلاثين سنة مـــن عمره، وألف "غبار خاطر" وحينما بلغ وسط الخمسينات. وهذان المؤلفان – كما ذكرنا سابقا يختلف بعضهما عن بعض اختلافا جوهريا. ومع ذلك إذا ألقينا نظرة فاحصة في محـــتوياهما، فـــنجد أن "غبار خاطر" ينطوي على نفس الفكرة والترعة التي تعكسها "تذكـــرة" ويجسد هذا المؤلفان اهتمامه البالغ بدعوته لمعرفة الذات الإلهي ، إصراره على الحق والصدق والإنابة إلى الله وحتى في اختياره للشعر[١٣].

اكتفيت بذكر ثلاثة كتب له والمعلوم أن مولانا آزاد قد ألف كتبا عديدة ذات أهمية بالغة. فأذكر بعضا منها:

١- أبو الكلام أزاد كي كهاني خود أن كي زباني

٢- أحرار إسلام طبع

٣- إعلان الحق طبع

٤- الدين والسياسة

٥- الحرب في القرآن

٦- الحرية في الإسلام

٧- الجهاد في سبيل الله

٨- السيدة فاطمة بنت عبد الله

٩- أمر بالمعروف

١٠- عروج وزوال كا قرآني دستور

١١- أصحاب كهف

١٢- عورتون كي أزادي اور فرائض

١٣- India wins Freedom

١٤- عظيم شخصيتين

١٥- باقيات ترجمان القرآن

١٦- بنيادي تصورات قرآن

١٧- داستان كربلا

١٨- غبار خاطر

١٩- حقيقة صلاة

٢٠- حضرت يوسف عليه الصلاة والسلام

٢١- هندوستان بر حملة اور فرائض

٢٢- اسلام اور آزادي

٢٣- اسلام اور نيشنلزم

٢٤- اسلام كا نظريه جنك

٢٥- جهاد اور اسلام

٢٦- خلافت اور جزيرة عرب

٢٧- مضامين لسان الصدق

٢٨- مسلمان عورت

٢٩- قول فيصل

٣٠- شخصية ذو القرنين المذكورة في القرآن

٣١- تربيت عسكري اور قرآن حكيم

آزاد والعالم الإسلامي:

يقول مولانا عبد الرزاق المليح آبادي – الذي كان رئيسا لتحرير مجلة ثقافة الهند و زميلا لمولانا آزاد في الصحافة – عن مولانا آزاد:

" إنـــه كان خبيرا بأسرار الشريعة، ومفسرا للقرآن الكريم، محدثاً، فقيها ، فلسفيا، مؤرخا، أديبا، كاتبا، صحفيا، زعيما، سياسيا، قائدا قوميا، بطلا من أبطال الحرية."[١٤]

هـــذه الفقرة توضح أن مولانا آزاد – برغم كل ما صنع وأتى من العجائب – لم يستطع أن يصنع كل ما كان يريده، وأن يأتي بجميع ما كان يتوخاه ويطمح إليه.

هـــذا وعند ما أصدر جريدته " الهلال" عام ١٩١٢م كتب في مقالاتها الافتتاحية الأولى:

" من أين أتى بالصور الذي يوقظ صوته ٤٠٠ مليون قلب من منام الغفلة، وكيف أولد في يدي القوة التي يتنبه بدوي ضربها وقرعها الغارقون في حلم يجرهم إلى الموت؟... إن الأعداء يحطمون أبواب المدينة وأهلها غارقون في البكاء والعويل[١٥]."

والحقـــيقة أن الفترة التي نهض فيها مولانا ليفتح لسانه ويمسك بقلمه كانت فترة حـــرجة عصيبة – للغاية – للعالم الإسلامي ولآسيا كلها، فقد كانت القوى الأوربية تشد براثنها الاستبدادية – بصورة انفرادية واجتماعية معا. على القارة الآسيوية بأجمعها بما فيها الهـــند، وكـــان يـــبدو أن العمل يجري على تعويق وعرقلة استقلال بلدان آسيا وأفريقيا الشمالية. وأن المساعي مبذولة لإلحاق أشد الأضرار بالعالم الإسلامي وتدميره، وأن مصر وطرابلس و المغرب والجزائر والمناطق التركية كلها مهددة للخطر. وقد أوقعت على أهالي الهـــند فـــور انقضاء الحرب العالمية الأولى من الاضطهادات والتنكيلات البشعة ما يتعذر نظيرهـــا في العالم الحضاري. ووضع بجانب ذلك الحجر الأساسي لتحويل فلسطين وطنا

قومـــيا للشعب اليهودي. وبالجملة فقد بدأت أفظع الجهود الوحشية لأجل إخباء مستقبل آسيا كلها[16].

ومـــن الحقائق التي لا تجحد أن الإيرانيين والعرب والمغول والأتراك قد شنوا على أوربـــا هجمـــات لـــو لم يضطروا للتخلي عنها لأسباب ترجع إلى بعدهم عن مركزهم وتلـــهفهم إلى العـــودة للـــوطن وإلى الحرب الأهلية والانحلال الداخلي وما إلى ذلك من الدوافـــع، لكانـــت خريطة العالم اليوم على غير ما هي عليه ولكن من الممكن أن يكون المسلمون هم المستوطنين لأروبا كلها وللولايات المتحدة كذلك[17].

ومـــولانا آزاد اعتقد في البداية أن إنقاذ آسيا (التي يشكل العالم الإسلامي جزءاً هاما منها، والتي تدخل فيها أفريقيا الشمالية هى الأخرى) من سيطرة أوروبا واستغلالها، لا بد له من بذل الجهود على توحيد المسلمين وتنظيمهم وجعلهم مسلمين صادقين، وقد كانت هذه الفكرة سبق أن قدمها السيد جمال الدين الأفغاني والمفكرون الآخرون. وكان مـــولانا أزاد يريد أن يعمل على أسس واسعة النطاق، ولذلك ركز جهوده في أول الأمر علـــى عرض المفاهيم القرآنية بكلمات أصح وأقوم، لكي يتهيأ هناك أساس قوي محكم لتوعـــية المسلمين وإيقاظهم، وقد كان يهمه كثيرا إصلاح عقائد المسلمين والحفاظ على وحـــدتهم وتضـــامنهم وعظمتهم، وظل يجاهر بذلك بشدة وقوة في صفحات جريدته " الهلال" وكتاباته وخطبه الأخرى، وكان يعتقد كذلك أنه لا بد أن يكون في المسلمين أمير أو قـــوة حاكمة تواصل العمل على أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وكان يرى فيما

يتعلق بالحديث النبوي الشريف الذي جاء فيه " اختلاف أمتي رحمة" أن الاختلاف يجب أن يكون لصالح الأمة وعلى أساس التعليمات الإسلامية، وأن الاختلاف يعني مجرد حرية التعبير عن الرأي، أما إذا حصل الإجماع على شيء فالاستمرار على الاختلاف وأدائه باللسان، واستغلاله لطلب الدنيا ليس معناه إلا الخروج على الإجماع وذلك فسق وهرب من الإسلام لا غير.[١٨]

ثم إن مولانا آزاد و إن كان يقوم بدور هام في رسم سياسة المؤتمر الوطني ووضع المقترحات والإعلانات إلا أن السياسة التي تتصل بالبلدان الإسلامية كانت توضع – على وجه الخصوص – باستشارته في الغالب، وكانت تتجلى فيها لمعات أفكاره وآرائه دائما، وتمخض عن ذلك أن المؤتمر ظل معارضا لقيام دولة إسرائيل منذ البداية، وكان مهاتما غاندي أول زعيم غير مسلم يتمتع بسمعة عالمية، ندد بإخراج العرب من فلسطين واستيطان اليهود فيها عن طريق الظلم والجور والعدوان، والحكومة الهندية، مازالت تؤيد حقوق الفلسطينيين وذلك هو السبب في أن المرأة التي اتخذهما واعتبرها ياسر عرفات أختا له من بين نساء العالم كله، لم تكن إلا إنديرا غاندي رئيسة وزراء الهند الراحلة.... وبالرغم من أن الاستقلال قد حصل بصورة تقسيم البلاد، فإن موقف الهند مبني على التأييد التام للبلدان العربية، وأنها لا تريد من وراء سياستها المبنية على عدم الانحياز، إلا أن تتجنب الشعوب الآسيوية والأفريقية من أن تكون أداة في أيدي القوى الغربية، وأن تعزز استقلالها وحريتها، وهي تسدي إليها في هذا الصدد كل معونة ومساعدة. وإذا كان من واضعي سياسة عدم الانحياز اثنان من غير المسلمين، أعني جواهر لال نهرو وجوزف تيتو،

فكان من بينهم اثنان من المسلمين أيضا، وهما جمال عبد الناصر وعبد الرحيم سوكارنو. وإن الدولة التي أيدت مصر تأييدا كاملا في ثورتها الاستقلالية الجمالية بعد الحرب العالمية الثانية هي الهند ليس غير، كما أن الهند عنيت كل العناية بإيقاف الحرب العراقية الإيرانية، وظلـت كذلك نشيطة فعالة في حسم النزاع الأفغاني الباكستاني بصورة متواصلة، وليس كل ذلك إلا امتداد للأسس التي أقامها مولانا آزاد[١٩].

ولا نسـتطيع أن نحيط بمواهب مولانا آزاد وكفاءاته وأفكاره ومعتقداته وعزائمه ونياته، وتيقظه واستنارة فكره وقلبه. إن كان رجلا ملتزما بالمبادي إنسانا كاملا في حياته الشخصية أيضا. وقد ولد في مكة المكرمة من بطن أم عربية، غير أنه لم يحب قط أن يدعي بلقـب المكـي كما كان هو العرف المتبع في الهند،.وكان مرشدا للبلاد والشعب والعالم كله[٢٠].

كان مولانا آزاد يريد أن يفيد بلاده وشعبه والعالم الإسلامي والعالم بأسره. إن كتاباته وخطبه تفيدنا بأن رسالته الخاصة هي :

" إن الإسـلام يعلم أبناءه الألفة والمحبة لا الكراهية والعداوة، وأنه يجب أن نبحث عن تعاليم الإسلام الصحيحة ونفكر فيها ونصوغ أنفسنا في قالبها، مهما واجهتنا في ذلك صعاب وعقبات."[٢١]

لقد بذل مولانا آزاد حياته كلها في تفكيك سيطرة المعتقدات الوراثية، إلا أن هذا الــواجب لا يزال يتطلب الإتمام، وتلك هي النية التي قد ذهب هو معها في قبره، من حقه على شعبه أن لا يتركه مغمورا مطموراً.

رسالة مولانا آزاد:

إن الكلمــة التي أدلاها آزاد في ٢٥ أغسطس ١٩٢١ في اجتماع " مجلس الخلافة" الذي عقد بمدينة آغره، كانت كلمة بديعة رائعة يكاد ينعدم نظيرها بين الخطــب والكلمــات الــتي ألقاها خلال سنوات انضمامه إلى السياسة الوطنية. والكلمة التي نحن بصددها ليست قطعة فنية فريدة في الخطابة الأردوية فقط، وإنما تكمــن قيمتها أيضا في ما تشمله من انعكاس لرؤيته السياسية والنظرية المتجددة، والتي تجعل منها كلمة قيمة من ناحيتي المواد والمفاهيم. في هذه الكلمة سلط مولانا آزاد أضــواء كاشــفة من ناحيتي المواد مواضيع، وطرح نظريته بوضوح ومعززة بالدلائل وتلك المواضيع تأتي ملخصة فيما يلي:

١- ارتباط حركة الخلافة مع العصيان المدني والكفاح من أجل الاستقلال.

٢- التضامن بين الهندوس والمسلمين ضرورة أساسية لإنجاح الكفاح ضد الإنجليز والتحرر من استيلاءهم.

٣- المســاهمة في عمــل القومية الموحدة فريضة على كل مواطن مسلم، وأنها لا تخالف مبادىء الشريعة الإسلامية وأسوة النبي صلى الله عليه وسلم بأي وجه من الوجوه.

٤- البرنامج القرآني من أربع نقاط، أساس للفلاح في الحياة الدنيوية[٢٢].

هذه النقاط الأربع تدل دلالة واضحة على أهمية الخطاب، ومن المناسب أن نذكر فيما يلي بعض مقتبساته:

" النظــرية المبدئية التي تبناها مولانا آزاد إزاء كل من حركة الخلافة والاستقلال تلخصت في أن حركة الخلافة الإسلامية، وبالفعل حركة تحرير الهند من المستعمر. والإنجاز الرئيسي لحركة الخلافة أنها بثت الحياة في جسد الوطن بعد أن أخفقت المساعي التي بذلت لذلك الغرض على مدى الأربعين سنة، ونتيجة هذه الحركة ذاب الجمود الذي ساد قضية تحرير الهند، والآن يسمع صداها في كل مكان من العالم[٢٣]."

لقد أكد مولانا آزاد في خطابه مرارا وتكرارا بأن الهند وفرت أولى ساحة لممارسة حركة الخلافة، وإنجاحها مرهون بعدم تركيزها في طائفة دون أخرى. وقال:

إنــه يــجب أن تكون لهذه الحركة مكانة في قلوب ٢٠٠ مليون هندي بدلا من ٧٠ مليون مسلم. وأن نرى الإخوان الهندوس يقفون بجانب المسلمين بالصدق والأمانة[٢٤].

مـــولانا أزاد ينظـــر إلى الوحدة الإسلامية – الهندوسية – بنظرة المهاتما غاندي، ويعتبرها هدفا وعقيدة سياسية. وتأكيدا على صحة ذلك الرأي استند إلى الآيات القرآنية وميـــثاق المديـــنة أيضـــا. والتضامن الهندوسي والإسلامي لم يكن فقط جزءاً من تفكيره السياسي منذ عام ١٩٢٠ م وإنما تغلب على أحاسيسه لدرجة أنه أعلن في خطاب ألقاها بمدينة أغره ٢٥ أغسطس:

" أصـــدقائي ! إذا كـــان هـــناك هدف لحياتي، فإنه ليس إلا الاتحاد في صفوف المسلمين والهندوس[٢٥]. "

وأوضح موقفه من الوحدة بين الطائفتين وتمسكه به قائلا:

" هـــذه الـــوحدة ضرورة سواء اتصل الأمر بالاستقلال أو بالأمة المسلمة وقيامها بالواجب على أفضل وجه... وذلك هو إيماني الذي أعلنته في أول عدد من مجلة " الهلال".

التضامن بين المسلمين والهندوس ضرورة بالنسبة إلى الوطن واستقلاله وأيضا لأداء الواجب الأمثل نحو الحق"[٢٦].

سياسته:

إمـــام الهـــند مولانا أبو الكلام آزاد أحد القادة و المصلحين الهنود الذين تركوا وراءهـــم تراثا عظيما في تاريخ بلادهم، و الواقع أن حياة أبو الكلام أزاد حافلة بالمواقف الفـــذة لأنـــه كـــان رجلا موهوبا في فكرته و نظرته للدين و الحياة و متبحرا في العلوم

الإسلامية مع إلمامه الكامل بالتراث الإسلامي، بجانب موهبته الخطابية و الكتابية و يستطيع أن يـــدرك ذلك كل من قرأ كتابات آزاد. إن الحديث عن مولانا أبو الكلام آزاد كزعيم سياسي لا ينسينا بأي حال اجتهاداته الدينية التي تبرزه كعالم من علماء الإسلام البارزين ، لقـــد كانت صحيفتا " البلاغ" و "الهلال" صوتا قويا لدعوته الإصلاحية ومناشطه الدينية التي أخذ يبث دعوته و آراءه على صفحاتها.

الدين والسياسة عند آزاد:

مـــولانا آزاد لم يكن يخاف أن عقيدته السياسية تضر بسمعته. وكفانا مثالا بأنه كان يؤم الـــناس في صـــلوة العيدين في كولكاته منذ سنين ويحضر آلاف من الناس ليستمعوا إلى خطبـــته، فقامت العصبة الإسلامية بفتنة جديدة وأخذت تحث الناس على أن يعزلوه عن الإمامـــة في صلوة العيدين، فاستنكر هذه الحركة آلاف من المسلمين الذين كانوا يحبونه وطلـــبوا إليه أن يستسلم هذه الحركة آلاف من المسلمين الذين كانوا يحبونه وطلبوا أن لا يستسلم لضغط زعماء العصبة الإسلامية، وأن لا يقبل اقتراحهم أن تكون هناك جماعتان لصـــلوة العيدين يؤم إحداهما مولانا آزاد ويؤم الأخرى إمام آخر ينتخبه زعماء العصبة. وذلـــك طلبا للتفاهم والتراضي بين الفريقين. ولكن مولانا آزاد لم يرض بذلك صرح بأنه لا يســـمح للاخـــتلافات السياسية أن تؤثر في الأمور الدينية، وأعلن بأنه لا يريد أن يؤم الناس في العيدين إذا كانت ثلة قليلة من المسلمين تستنكر إمامته.

أهمية الوحدة القومية في كتابات آزاد:

و إنه حاول في تقوية الأواصر بين الأديان المختلفة،داعيا إلى التسامح من أجل تمتع بحـــياة أفضل وقال :" الحقيقة أن الفكر الجديد للهند بعد الاستقلال آمن بأن أرض الهند وطن واحد و أن الهنود على مختلف طبقاته و طوائفه نسيج واحد.[٢٧]"

ظـــل مـــولانا آزاد ينظـــر إلى الوحدة الإسلامية الهندوسية بنظرة المهاتما غاندي، ويعتـــبرها هدفا و عقيدة سياسية. و لإثبات صحة ذلك الرأي استند إلى الآيات القرآنية وميـــثاق المديـــنة أيضا. و لم يكن التضامن الهندوسي و الإسلامي فقط جزءً من تفكيره السياسي و إنما تغلب على أحاسيسه لدرجة أنه أعلن في خطاب بمدينة أغره ٢٠ أغسطس مخاطبا إخوانه المسلمين قائلا:

"لا جـــدال في أن كلمة محمد و سنته عليه السلام أفضل وأحق بعد كلام الله عز و جل. إنه عقد معاهدة مع من لم يدخلوا في الإسلام من قبائل ضواحي المدينة المنورة، جاء في تلك المعاهدة كلمة " أمة واحدة" و المراد بكلمة " أمة" ما يراد بكلمة "نيشون" في اللغة الإنكليزية[٢٨].

ثم يقول مولانا آزاد مخاطبا جميع أبناء الوطن:

" المطلوب أن تؤدي هذه الانتصارات كلها إلى غاية وحيدة ويجب على كل مواطن – سواء كان مسلما أو هندوسيا أو سيخيا أو بارسيا- و هوشاهد مياه نهري يمونا و جنجا و نظر إلى سماء الوطن بنجومها الساطعة أن يتقدم و يحقق الانتصار[٢٩]."

وكان مولانا آزاد قد أعلن في اجتماع " المؤتمر الوطني" الذي عقد سنتين قبل اجتماع " حركة الخلافة" في كانفور:

" أنه لا داعي – في الظروف الراهنة – إلى وجود منظمات هندوسية وإسلامية على حدة، إنما الضرورات تفرض على أن تكون هناك منظمة واحدة و هي " المؤتمر الوطني" و لا غير و لاشك في أن ثباته على ذلك طوال سنوات عمره، بعد ذاته إنجاز عظيم خاصة في بلد مثل الهند ذي ثقافات متعددة و متضاربة في كثير من الأحيان[٣٠]."

رفض مولانا نظرية القومية الإسلامية التي اعتبرت المسلمين و الهندوس أمتين متفرقتين و بعد تحليل تلك النظرية تحليلا دقيقا و إثبات بطلانها سلط الضوء على استراتيجية الإمبرالية التي استهدفت تقسيم الشعب الهندي على الأسس الدينية و الطائفية وقال:

" الاعتقاد بأن المسلمين في الهند أقلية سياسية و مصالحهم وحقوقهم ستكون معرضة للأخطار في ظل النظام الديمقراطي، مغالطة

ليست أية مغالطة أفدح منها. هذه المغالطة أدت إلى ظهور سوء التفاهم، له جوانب لا تحصى و خلقت في المسلمين ريبا عن مكانتهم في هذا البلد، وجعلـــت العــــالم كله ينظر إلى الهند بمنظار غير حقيقي و مناقض لما عليه أمرها بالفعل[٣١]."

" لو سمح لي الوقت لذكرت لكم تفاصيل الأمور و أزحت الستار عـــن وجـــوه حقائـــق و ظروف عملت وراء افتعال هذا الوضع، و عن الأيــــادي التي صنعته، الواقع أن هذا الوضع المأساوي ثمرة سياسية " فرق تسد" التي تمارسها العقول الحكومية منذ خروج " المؤتمر الوطني" إلى حيز الوجود، وتقصد من وراءها استعمال الأمة المسلمة كأداة لاحتواء النهضة السياسية المتمثلة في حركة المؤتمر الوطني " نجد في مخطط النظام هذا أمرين بأهمـــية خاصة:"ينعكس أحدهما في التركيز على أن الهند موطن شعبين – هندوسي و إسلامي- يناقضان بعضا لبعض و يجعلان بالتالي المطالبة بشيء هـــي أســـس الوحدة الوطنية دونما قيمة أو مبرر و يتجسد الأمر الثاني في إظهــــار المسلمين كأقلية قد تعرض وجودها لمشاكل حجة إذا ما أقيم في البلاد نظام حكم ديمقراطي[٣٢]."

و في تفسيره للقرآن الكريم الذي قدمه تحت عنوان " ترجمان القرآن" ناقش مولانا آزاد متحلـــيا بقـــوة الحجة، وحدة العقائد الدينية و حدة الدين" التي أفسدها الاختلاف

المحتوم في شرائع الأديان المختلفة الذي حتمه اختلاف البيئات الاجتماعية و الثقافية والانقسامات الشكلية و المؤسسية التي أوجدها أتباع الديانات المختلفة و في تعليقه الرائع على سورة الفاتحة " التي وصفها مولانا آزاد بأنها المقدمة الطبيعية لدراسة القرآن[٣٣]."

و كان مواطنو الهند غير المنقسمة يتعلقون في الواقع بنسل ممتزج، بيد أن الهندوس كانوا قد أقاموا تمييزا صناعيا بين الطبقات المتخلفة و الطبقات العالية، و أما الاختلاف في العقيدة كان يوجد آنذاك كما يوجد الآن. و لا يقتصر هذا الاختلاف في المعتقدات بين طائفتي الهندوس و المسلم فحسب بل كان بين المسيحيين و اليهود و المجوس و السيخ أيضا، فهو يمكن أن نقول إن جميع الطبقات التي تدعي بالهندوس تختلف في المعتقدات فيما بينها[٣٤].

> " إن التاريخ الموحد الذي تمتد جذوره إلى أحد عشر عاما قد ملأ جوانب حياتنا الهندية بإيجابياته و لم يبق أي جانب من لغتنا و شعرنا وأدبنا و مجتمعنا و أذواقنا و أزياءنا و تقاليدنا و حياتنا اليومية، إلا ترك عليه طابعه، كنا نتكلم لغات شتى لكن صرنا نتكلم لغة واحدة و كانت تقاليدنا متباينة و لكن انصهرت كلها في بوتقة واحدة، و برز منها قالب جديد، و يمكن أن نرى أزياءنا العتيقة في صور التاريخ القديمة، لكنها لم تعد على أجسامنا، إن هذا الرصيد المشترك ثروة وطنيتنا الموحدة و لا نرضى بالتراجع إلى ذلك الزمن السحيق، حين لم نكن شرعنا في الحياة

المستلائمة المتلاحمة، إن تواجد هنادك فينا يريدون أن يقوموا بإحياء الحياة الهندوكية التي كانت سائدة قبل ألف عام فليعلمن أنهم يحلمون حلما لا يتحقق أبداً. و آخرون يريدون أن ينعشوا حضارتهم و مجتمعهم السالفين الذين أجلبوهما من إيران و الآسيا الوسطى قبل ألف سنة لأقول لهم الأحسن أن ينتهبوا من غفلتهم لأن ذلك فكرة لا تكلل بالنجاح و لا تأتي بأي ثمر[٣٥]."

لقد صرح مولانا آزاد في خطبه مخاطبا القوى الطائفية الهندوكية و الإسلامية ودعاها إلى حضارة الهند المشتركة و وطنيتها، لكن يظهر أننا نسينا أفكار مولانا آزاد و تصوراته تماما. ترفع القوى الطائفية و الانعزالية رأسها في طول البلاد و عرضها و لا تشكل خطرا استقرار البلاد فحسب بل لهيكل البلاد الديمقراطي أيضا، إن الديموقراطية أشعة أمل في هذا السواد الحالك من الهنادك و المسلمين و السيخ و النصارى و غيرهم من عامة الناس الذين ليسوا بطائفيين و لكن يستطيع أن يضلهم المضلون بحجة الدين و العقيدة بسهولة.

كتب مولانا آزاد:

"إن السيد الإلهية كانت قد قضت في حق الهند أن تكون أرضها محطا لقوافل مختلف الديانات و الحضارات و الأجيال الإنسانية[٣٦]."

و كـــان يـــؤمن آزاد إيمانا قويا بأن القوى الطائفية و الرجعية لن تتمكنا من تغير قضـــاء الله المبرم، وزاد ذلك شدة إلى قوى عزمه، وكان مولانا آزاد دائما يعاضد القوى العلمانـــية والديموقراطية و لم يعدم اليوم و لا في ذلك الزمن رجال من الهنادك و المسلمين الذين كانوا يبثون الكراهة و الاستنكار بين الناس مختفين وراء ستار الدين و الحضارة.إن هـــذا الضـــيق الفكري يعارض الدستور، و كان مولانا دائما يندد ذلك و طالما أشار إلى عواقبها الوخيمة الفظيعة للبلاد في خطبه و كتاباته، قال مرة في خطبته:

" أنا مسلم و اعتز بصفتي مسلما، وقد ورثت المثل العليا للإسلام الـــتي تمتد عبر ثلاثة عشر قرنا، و لا أرضى أن يتلف جزء صغير منها، إن تعالـــيم الإسلام و تاريخه و علومه و حضارته رأس مالي، و من واجبي أن أحـــافظ علـــيها، وبصـــفتي مسلما لي شخصية متميزة في الدوائر الدينية والحضـــارية و لا أتحمـــل أن يتدخل فيها أحد ولا يمنعني منه الإسلام،بل يرشدني فيه وإني أشعر بالاعتزاز بأني هندي، و أنا أشكل عنصرا على حدة للوطنـــية الهندية الموحدة التي لا يكتمل صرح عظمتها بدون وجودي وأنا عامل مهم أساسي لتواجدها و لن أتخلى من هذه الدعوى البتة[٣٧]."

يـــرى مولانا آزاد أن الوطنية هي علمانية لا غير، فهي لا تكون هندوكية و لا إســـلامية، و رد مولانا آزاد المثقفين الذين كانوا ينظرون إلى العلمانية و الوطنية في ضوء التصورات الغربية الوافدة ردا مقنعا، فقال:

"إنـــه لا يجدر بكم أن تتأثروا بحضارة الغرب و ثقافته إلى حد أن تنســـوا حضـــارة بلادكـــم العظيمة و كذلك لا يناسب أن تسدوا على أنفســـكم كل منفذ حتى لا ينفذ إليكم شعاع من أشعة الحضارة و العلوم الغربية، و لا تنسوا أنها يمكنكم أن تحدوا الأشياء بحدود القوم و البلاد و لا يمكنكم أن تقسموا العلم و الحضارة إلى خانات و جداول[٣٨]."

إن البشـــرية كلـــها أعضاء أسرة واحدة و هي أسرة الله و كان يرى أن هدف الـــديانات كلـــها هو التغلب على المآثم و الذنوب، إن كل ديانة من الديانات تنمي المثل الخلقية وتروجها، و كان يعتقد أنه ليس بعيدا ذلك اليوم حين يئتلم الناس و يتلاحمون.

و قال :

" كمـــا تتصـــورون أن ديانتكم أفضل الديانات و أمثلها فكذلك يـــرى الآخـــرون من ديانتهم فيؤكد بأنه لابد يتواجد في مثل هذه الحال التناصـــح والمؤدة،و المعلوم لدى الجميع أن عواقب الضيق الفكري وخيمة دائما[٣٩]."

و كـــان يرى أن الطائفيين سواء كانوا الهنادك أو المسلمين أو السيخ أو النصارى ليسوا أعداء البلاد فحسب بل أعداء الإنسانية كلها. لقد قاوم مولانا آزاد الطائفية من قبل المســـلمين في جانب و في جانب آخر عارض الطائفية الهندوكية، و كان يرى أن فقدان القـــوة السياسية أسفر عن غياب التناصح و المؤدة و الثقة بالنفس عن المسلمين و الهنادك،

والـــذي يشكل معوقا كبيرا في سبيل الوحدة القومية. لكنه لم يقنط و ظل يسعى للوحدة الوطنـــية وكان دائما على استعداد لتضحية جميع مصالحه، لقد كانت الحكومة الأجنبية تعمـــل علـــى سياسة، فرق تسد" و كانت تعلم جيدا أنه لو توحّد أهل الهند و تلاءموا وتخلصوا من داء العنصرية، فلا يمكنهم أن يحكموا طويلا على هذه البلاد[٤٠].

يعـــتقد مـــولانا آزاد بأنه "قد قدر للهند أن تكون أرضها مهدا لأجناس بشرية مـــتعددة و حضـــارات و ديانات متنوعة. لقد بدأت القوافل الإنسانية بألوانها الحضارية والدينـــية العديـــدة، تمس أرض هذا البلد و الحال أن فجر التاريخ لم يبد رأسه من الأفق، وبعدئذ توالت تلك القوافل ترد إليها و تستغل ثرواتها و تجد مكانا بين أحضانها الفسيحة- و آخر تلك القوافل، كانت قافلة المسلمين، و كانت أرض الهند ملتقى حضارتين وشعبين متغايرين بعضا لبعض. ظل كل أحد منهما يسير في مساره الخاص لفترة معينة من الزمن، وفي نهايـــة الأمر تداخلا تحت أحداث التاريخ العظيمة. تاريخنا المشترك و الممتد على أحد عشر قرنا، قد عمر الحياة الهندية الوطنية من كافة النواحي و نتلمس بصماته على اللغات و الآداب و الشـــعر و الفـــنون و الذوق و الناس و السلوك و التقاليد، و على غيرها من مستلزمات الحياة الاجتماعية هذا التاريخ المشترك صهر قالب القومية الهندية الممتدة و الآن نحن – الهندوس و المسلمون – عناصر تلك القومية غير قابلة للتفكك[٤١]."

و أشار مولانا في ترجمان القرآن إلي أن الديانات قبل نزول القرآن كانت منقسمة إلى الإيمان بالله و هذا إيمان حقيقي للخواص، و إلى إيمان مجازى لعامة الناس، وذكر ضمن

الحديث عن الأديان الهندية أن المعرفة الإلهية في هذا البلد تفاوتت بتفاوت الانتماءات الطبقية و للتوصل إليها كان المطلوب من عامة الناس عبادة الأصنام، و من الخواص الإنابة إلى الله، و من أخص الخواص إدراك حقيقة وحدة الوجود. و بعد الإشارة إلى أن التصورات اليونانية الإلهية أقرب من التصورات الهندية من غيرها، يقول مولانا عن التصورات القرآنية إنه لا يبرر تمييزا بين العوام و الخواص على أسس الحقيقة و المجاز والتشبيه، بل أنه يدعو الناس كلهم لعبادة الله الواحد و بطريق واحد. و للتوصل إلى أعلى مدارج الإيمان يفتح بابا واحدا للجميع، و يستنتج بدراسته المهمة في النظرية البراهمة بأن النزعة الدينية في الهند تتألف من خليط التفكير و العمل و التسامح، و في إطارها النظر من العام متجاوبة مع عقائد أخرى بعيدا عن التشدد و المضايقة. فالخواص من البراهمة أقبلوا على التوحيد تاركين الوثنية و الشرك لعامة الناس، مما خلق المجال لجميع الأنواع من المعتقدات و التصورات، و وفر تربة خصبة لازدهار عقائد بألوان عديدة و متباينة. ولأجل ذلك لم يسبب اختلاف العقائد نشوب حروب وصراع في الهند مثلما كان الأمر في المناطق الأخرى من العالم، و بالعكس من ذلك ساعد التعدد في العقائد في صياغة نسيج التوافق والتضامن بين اتباع الديانات المختلفة.

ولكن مولانا آزاد يرى أن علاقة التسامح بين العقائد و النظريات الدينية إذا كانت جديرة بالنقد، فإن استقامة الرأي و صلابة العقيدة و الفكر أيضا فضائل قيمة عنا، ثم يقسم هذه الفضائل إلى أنواع، و يحكم في كل منها بأحكام خاصة، و يصر على ضرورة سحب فواصل بينهما، و يقول إنه عند ما استبانت سلامة و فضيلة عقيدة و عمل من

العقائــد وللأعمــال المــتعددة، و تكون لحد توصلنا إلى نتيجة بشأنها، عندئذ يتوجب الاعتصــام بهــا والثبات عليها اعتقادا و عملا و سيعتبر تبرير أية مرونة في ذلك ضعفا في الإيمــان واضمحلالا في العقيدة. و يضيف إليه قوله بأنه في حالة اختلاف الآخر في الرأي ــ ينبغي أن نضمن له حرية الاختيار، و ذلك هو التسامح بالمعني الواقعي للكلمة[٤٢].

ثم يقــول مــولانا آزاد إن عدم سحب نمط فاصل بين هاتين الحالتين الثبات على عقــيدة دينية بعد استبانة حقها، و الاعتراف بحق الآخر في الخلاف ــ يؤدي في كثير من الحــالات إلى الــزيغ عن طريق وسط ... و يعقب بأن صلابة العقيدة عامة تأتي مقترنة بالتطــرف و التشــدد، و تتســبب في الإغــراء على الآخرين، و تجريحهم في أعمالهم ومعــتقداتهم، بيــنما يؤدي التجاوز عن خط الاعتدال في التسامح إلى التنحية عن إصابة الرأي و سلامة الفكر و يخلق ريبا و شكوكا ... و يكفينا مثال لذلك أن العصب و قسوة الــرأي في الأمــومة الدينية كان لها تأثير في اندلاع حروب دامية في الأزمنة الغابرة، في الإفــراط في التســامح و الإغماض، جعل العقائد الدينية في الهند، تصطبغ جميعا بصبغة الخــرافة والجاهلــية، و بعد الإشارة إلى اعترافات المؤرخين بتلك الحقائق[٤٣]، يتوجه إلى القرآن ويصف ميزاته بالكلمات الآتية:

" لم يبرر القرآن أي نوع من موقف المصلحة في العقيدة فيما اتصل الأمر بالذات الإلهــية ... أنــه يصــون التوحيد و التتريه من جميع الملابسات و مع ذلك لا يمنعنا عن التسامح مع الآخر في حال من الأحوال[٤٤] ."

إن أبو الكلام آزاد ألقى في تفسيره" ترجمان القرآن " في ثنايا تفسير سورة الفاتحة نظـــرة طويلة على قضايا عديدة و من أهمها الأيمان بالله و صفات خالق الكون و حقيقة الـــربوبية و التوحيد و المعاد و الرحمة الإلهية و مظاهر الطبيعة و الحكومة الإلهية و علاقة الحـــب بـــين الخالق و المخلوق و وحدة الأديان و صفة العدل الإلهي و إلى جانب هذه المباحث قام أبو الكلام بتحليل الدين المسيحي و مكانته بين الأديان الأخرى و كتب بحثا يسلط الضوء على دراسة مقارنة بين القرآن و الإنجيل و هذا المبحث ينم عن أن أبا الكلام كـــان يتضـــلع في مبادئ و تعاليم الأديان الأخرى، و كان يلم بالحقائق التي تربط جميع الأديـــان في سلك واحد، فعلينا أن نستفيد من آرائه حق الاستفادة لأنه كان من القوميين المتحمســـين لفكرة وحدة الأديان و أن هذا النهج لأفكاره قد أثار الشكوك حول عقيدته الإســـلامية وانتقد البعض كان يعتقد أنه لا يتوجب على الإنسان أن يؤمن بأن محمدا ـــ صـــلى الله علـــيه وسلم كان آخر الرسل أو كانت له أية فضيلة على المرسلين الآخرين وكذلك رأى البعض أن أبا الكلام يعتقد أن الشريعة المحمدية كانت سارية المفعول لزمن النبي صلى الله عليه وسلم فقط.

يقول أبو الكلام عن وحدة الهنادك و المسلمين في الهند:

... إذا أتى ملك من فوق سبع سماوات و يعلن من منارة قطب أننا نحصـــل علـــى الاستقلال بين عشية و ضحاها بشرط انفصام الوحدة بين الهـــنادك و المســـلمين في وطني، فلا أرضى بالاستقلال بل أفضّل الوحدة

سيكون ضررا للهند، و لكننا إذا ابتعدنا عن الوحدة و بذرت بذور الشقاق و النفاق بيننا فيكون خسارة للإنسانية جمعاء"[٤٥] .

" إنني مسلم إنني لفخور بأنني عشت التقاليد الإسلامية الرفيعة والفخمة التي مضى عليها ثلاثة عشر قرنا. إنني لفخور بكوني هنديا — إنني جزء لا يتجزأ من الوحدة التي لا تقبل التقسيم وإنني ركن و عمود هام في هذا البناء الفخم و إن هذا البناء الفخم غير مكتمل من دوني. ... كما يحق لأي هندوكي أن يقول بفخر إنه هندي و يؤمن بالديانة الهندوكية، كذلك يحق لنا أيضا أن نقول بمثل هذا القدر من الفخر أننا من أبناء الهند و نؤمن بالإسلام إيمانا لا يتزعزع ... لقد صاغتنا حياة الوئام والانسجام التي مرت عليها آلاف السنين في قالب للقومية المتساوية. لقد اكتمل القالب الآن و قد وضعت الطبيعة ختامها عليه.. و لا يمكن تصور أي خطة و مكيدة شريرة لإحداث الشقاق و الفصل بحيث يلحق أي ضرر بهذه الوحدة القومية والوطنية[٤٦] .

و قال مولانا يوم ٢ أكتوبر ١٩٤٧م من إذاعة عموم الهند، في خطبة وجيزة ألقاها بمناسبة عيد ميلاد "مهاتماغاندي"، و شكا مولانا إلى الناس أن الهند كانت مهدا للديانات المختلفة أمس ولكن اليوم هذا المهد يتفكك و عانقت الهند المذاهب المختلفة. و قال:

" اليوم ، لا يعيش أي مسلم بأمن وسلام في شرق ولاية بنجاب وكذلك الهندوس و السيخ في غرب هذه الولاية و في دلهي،أقدم هذه الكلمات إلى حضراتكم جالسا في غرفة في مبنى الإذاعة، و هذه الكلمات تدل على أن الحوادث التي وقعت خلال أسبوعين كيف ألقت الرعب في كل مواطن حقيقي من الهنود . السؤال هنا ماذا حدث معنا و إلى أين نسير! كنا في الماضي القريب متطلعين إلى حرية البلاد تدعمنا سائر العالم . وضعنا شتى الخطط لهند مستقلة، كان من أحلامنا الوصول إلى المستويات الرفيعة للحياة الوطنية. فأين نحن الآن ؟ هل يمكن أن تلوحنا صورة تلك الأيام؟ وهل يمكن أن نشم رائحة الأيام الماضية؟[٤٧]"

قال مولانا أبو الكلام آزاد في خطبة ألقاها في جامعة علي كره الإسلامية، يوم ٢٠فبرائر ١٩٤٩م:

"انتم مواطنو دولة الهند المستقلة التي عزمت على أنها تقوم بتطوير حياتها السياسية و الاجتماعية على النهج العلماني و الديمقراطي. و روح الدولة العلمانية و الديمقراطية هي حرية الفرص لكل فرد بغض النظر عن النسل و الدين و الطبقة و المجتمع[٤٨]."

و قال في خطبة بمناسبة انتخابه كرئيس الحزب المؤتمر مرة ثانية في عام ١٩٤٠م :

"الآن مضى أحد عشر قرنا منذ أن دخل الإسلام في الهند، لذلك يجـــب أن يكون للإسلام حق فيها مثلما توجد للديانات الهندية الأخرى، إذا كانت الديانة الهندوسية دين سكان الهند منذ آلاف سنة فيعتبر كذلك الإسلام ديانة لسكان الهند لآلاف سنة ماضية. و يمكن أن يقول هندوكي شرعيا إنه هندي و مؤمن بالهندوسية فبناء على هذا المنطق أقول إن مسيحا هنديا أو تابع أي دين آخر. و له حق كامل أن يدعي بأنه هندي و مؤمن بديانته الخاصة.[٤٩] "

أيد مولانا أبو الكلام آزاد فكرة التسامح الديني برحابة صدره لأنه كان يؤمن بأن كل الأديان في جوهرها تتشابه في تعاليمها كما أوضح في تفسيره للقرآن الكريم قائلا إن هذا أمر صريح في القرآن. ليس هناك أي قوم أو جزء من العالم لم يأت فيه رسول و بهذا يتوجب علينا إما أن نقبلهم جميعا أو نرفضهم جميعا لكن جميعهم رسل الإله الواحد وهو ذات الله أو برميشـــور. و الهدف الرئيسي للدين هو عدم التقسيم و الوحدة و لمّ شمل بني آدم الذين بدأوا ينقسمون إلى طوائف شتى على أسس عرقية و جغرافية و لغوية واجتماعية و اقتصادية. من الممكن أن نقسم الناس إلى كل هذه المجموعات لكن هناك حقيقة واحدة و هـــي تواجد العلاقات الحميمة بين الناس التي لا يمكن قطعها، أنتم جميعا من خلق الله الواحد سبحانه و تعالى مرتبطين بجلاله و كرمه. فهذا الربط يبطل كل الخلافات بين الناس في جـــنس واحـــد ويجمـــع بين القلوب في سلام و وئام، هذا ما يخلق الشعور بأن العالم كالبيت الواحد، و أن سكان الأرض كلها أسرة واحدة و خلق إله واحد. و الذي يضايقه

بالخصـــوص هو علمه بأن هذا المرض بدأ يتسرب في حياتنا الوطنية مدمرا الروح الوطني وعاداتـــنا و تقاليدنا.انسجامه الإرث تمازجا بين التراث الإسلامي والتراث الهندي. ومع اعتزازه بانتمائه للهند في هذا التراث[50].

و على الدول الأخرى تستفيد من التراث الهندي ويمكننا القول إن التسامح الديني ميزة من ميزات الحضارة الهندية القديمة و نحن نعيش على هذا النمط من آلاف سنة. ومن ناحـــية أخـــرى نجد أنه يتواجد اختلاف الرأي و العمل في الدول الأخرى مما يؤدي إلى اندلاع الحروب و سفك الدماء، لكن هنا في الهند يتم حل الخلافات بطرق سلمية لتسوية الـــنزاع. قد سمحت الهند لجميع المعتقدات و الثقافات بأن تزدهر و تنمو بدون أي ضرر وفقدان كذلك سمحت الهند للمدارس الفكرية العريقة لكل من الفيدانتا و الوثنية و الإلحاد بـــأن تـــتطور جنبا بجنب. و اعترف كثير من مفكري العالم الحديث بأن هذا هو رسالة الحضارة الهندية القديمة العظيمة التي يجب على العالم أن يتعلمها[51].

ألقى مولانا أبو الكلام خطبة وجيزة أمام اجتماع عام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية يوم ١٤ /فبراير عام ١٩٥٨ و قال:

"ربمـــا يتساءل بعض أصدقائي، ما الحاجة إلى تشكيل هذا المجلس؟

وهـــذا السؤال طبيعي و الأسباب أيضا واضحة. و أقول لكم أن تتذكروا أن الهـــند نالت استقلالها و حريتها في ظروف أدت إلى تقسيمها و خلق الكـــراهية و الطائفـــية في النفوس. قتل عدد كبير من الهندوس و السيخ

وحكموا بإعدام و تلقى عدد كبير من المسلمين نفس المصير في الهند. عدد كبير من اللاجئين عبروا الحدود و دخلوا الهند. و كل ما حصل هو واضح تماما أمام العالم لكن أقول بالأسف إن دولة باكستان الحديثة السن صاحت فقط بقصة من طرف واحد و بدأت حملة الدعاية ضد الهند.فهناك انطباع في الدول الإسلامية بأن تقسيم الهند كان على أساس الطائفية و أن الهند أصبحت دولة هندوسية فقط. و على ضوء هذا بدأت الدول الإسلامية تصدق بأن المسلمين القليلين الذين بقوا في الهند لم يكن لهم أي حرية دينية ومدنية[٥٢].

و مع ذلك يسرني أن أخبركم بأنه بعد تأسيس هذا المجلس قد أصبح الوضع يتحسن والآن قد عرفت كل الدول الإسلامية أن هذه مجرد دعاية الباكستانيين و تعصبهم. كانت هذه الدعاية مبنية على الأكاذيب التي لا أساس لها من الصحة. و كذلك عرفت الدول الإسلامية أن الحكومة الهندية ليست حكومة هندوسية فحسب بل هي حكومة وطنية علمانية تضم كل الهنود[٥٣]."

قوة الإرادة في شخصية آزاد:

يجب على كل زعيم سياسي أو ديني أن يحتمل المحن والمشاق وأن يمضى من الطريق الوعر في الحياة. هذا منْ لوازم الحياة التي أدرك حقيقتها مولانا آزاد فكان مستعدا لمواجهة الكوارث والآلام[٥٤]. وقد كتب سنة ١٩١٣م في مجلته الأسبوعية "الهلال" :

" قـــد يـــأتي حين من الدهر في تاريخ الأقوام حينما تصير الحياة معصية وتكون التضـــحية بهـــا هي الحياة. وفي هذا الوقت لا يبقى أي جرم أشد من أن يستبقى الإنسان حياته بل التفدية والتضحية تعدان من عزائم الأمور وسمة الحياة، ومثل هذا الوقت يأتي في تـــاريخ حياة الأمم ثم ينقضي حسب قانون الطبيعة وكل ما جاء بالهلاك والفساد والدمار في هـــذه الأزمـــة، تأتي بفوائد جديدة وبأثمار متنوعة في الحياة حينما يتبدل الموسم وهذه الأثمار تبقى لقوامها ودوامها[٥٥] وإن روح القومية تنام في غفلة الأشخاص والأفراد[٥٦] وقد آن لهم أن ينتبهوا ويستيقظوا من نومهم السبات."

وإن المقلدين من أهل السنة يوردون على مولانا آزاد اعتراضين[٥٧]:

الاعتـــراض الأول هو أنه غير مقلد لأنه لم يوافق بالروايات والتقاليد الرائجة بين المســـلمين في بيئتهم لأنها مسلمة في الفكرة الإسلامية في الهند. وقد اعترف له مولانا آزاد ولم ينكر قولهم.

والاعتـــراض الـــثاني الذي أورده أهل التقليد عليه أنه يعتقد في وحدة الأديان مع إدعاء إسلامه. وهذا الاعتراض صحيح ولكن نجد فيه سمة البغض، لأن القرآن أعلن بكل وضوح وجلاء. بأن الله قد أرسل رسلا إلى كل قوم وملك كما قال الله سبحانه:

" وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا."[٥٨]

كـــان مولانا أزاد بطبيعته هادئا رزيناً، لكنه في ذات الوقت اختلف عن غيره من القـــادة وعامة الناس، وعناصر شخصيته المتباينة تمثلت في موسوعيته وفي عاداته وسلوكه ونبوغه العلمي، وفي سياسته ومكانته الدينية. ونجد الصراع بين تلك التناقضات متجسداً حينما يسعى – مثلا – للتوغل في أجمة السياسة الموحشة مع رعاية ما يتطلبه مكانه الدينية والعلمـــية من الوقار. حينئذ يضطر للهبوط من أسمى مقامات التفكير إلى وضعية عامية، لكـــي يتكيف مع البيئة الاجتماعية السافلة، فيؤثر على مسار القيادة ويخلق ربطا مع عامة الجماهير، ويفرز الجوانب العملية بصلاحيته الفكرية. والحقيقة أن هذا الصراع لا مفر منه لك من يطمع في الجمع بين العلم والعمل. والشخصية الآحادية لعامل أو عالم، لا يمكن أن تصبح مظهراً لذلك الصراع[٥٩]. ومولانا أزاد بدوره أدرك حتمية ذلك الصراع حيث ذكر:

" إن العلـــم والسياسة يختلفان بعضا عن بعض والجمع بينهما في أقصى الصعوبة ... وأول مشـــكلة من المشكلات التي واجهتني في حياتي، نجمت عن محاولتي للجمع بين هذين النقيضين."

استقلال الهند وآزاد:

أثـــناء كفاحـــه لأجل الاستقلال مر المولانا أبو الكلام أزاد بمراحل ثلاث، يتبين بدراســـتها أنها كانت أهم مراحل سفره السياسي. وتلك المراحل يمكن توزيعها ملخصا على ثلاث فترات على النحو التالي[٦٠]:

١- من عام ١٩٠٦ إلى عام ١٩١٩، أي بداية من سن الثامن عشر إلى السابع والعشرين. وفي هذه الفترة عرف مولانا أزاد كداعية إسلامي محب للوطن، وجعل من " الأخوة الإسلامية العالمية" و "إحياء الإسلام" على أسس معقولة ، ركيزة اهتماماته.

٢- السنوات الأربع من ١٩١٦ إلى ١٩١٩ التي قضاها في الأسر بقرية – مور آبادي – مع أربع سنوات أخرى حيث تراوح عمره بين ٣٢-٣٥ سنة. وظهر خلالها على ساحة السياسة الوطنية بوصفه قائدا من قادة " حركة الخلافة الإسلامية" و حركة العصيان المدني" ضد حكم الإنجليز.

٣- هذه الفترة من حياته السياسية تمتد من ١٩١٣ إلى ١٩٥٨ وفيها عرف مولانا آزاد بتحمسه للقومية الهندية الموحدة وعد في طليعة القادة والزعماء الوطنيين.

وعاش مولانا آزاد حياة متمايزة ومتفردة، وسلك مسالك متباينة . إنه كان داعيا للوطنية الإسلامية المستقلة لغاية عام ١٩١٥ وفي عام ١٩٢٠م صار يدعو للانضمام بالوطنية الإسلامية والسياسة والقومية. وبعد ثلاث سنوات أبدى جرأة سياسية مثالية فقرر بالمضي في طريق سياسة " القومية الهندية الموحدة."[٦١]

لقد مر مولانا أزاد في تفكيره السياسي بمراحل النمو وتطور الوعي المتواصل الذي لا بد منه لمواطن مسلم ينشأ في مكتنف بين متحفظ، ويتربى تحت وطأة التقاليد الدينية

المتـــزمتة، ويجـــرب بيـــئة الكتاب والمدرسة بقيودها وقسوتها التقليدية. الرسوخ في القيم المـــتوارثة أدى – في كـــثير من الحالات – إلى إلصاق بصمة التغرب والتفرنج والعمولة للإمبريالية ومخالفة الدين والوطن بكل ما تمخض عن بطن الظروف المستحدثة سواء أ كان معهدا سياسيا أو اجتماعيا، أو تفكيرا موضوعيا وتقدميا. إذن فلا عجب إذا لم تحظ أنظمة العلمانية والديمقراطية والقومية المتحدة بقبول عامة المسلمين، واستحال اعتبارها – في تلك الظروف – دعائم السياسة الوطنية. و لم يكن القادة المسلمون جميعهم قد وفقوا في ممارسة تجارب فكرية ووجدانية[٦٢].

كانـــت جريدة " الهلال" جريدة دينية بالمعنى الواقعي للكلمة. فإنها تناولت فقط القضـــايا والمشـــاكل الخاصـــة بالمسلمين، ونظرت إلى جميع المواضيع من منطلق إسلامي بحت... وتحت تأثير الأفكار المنشورة فيها قام المولانا آزاد بتشكيل منظمة " حزب الله " ووضـــع دستورها أيضا لقد تميزت " الهلال" بين الجرائد والمجلات المعاصرة بتركيزها على القـــرآن الكريم وتفسيره وتعميم تعليماته. فنجد كل صفحة من صفحاتها تمتلئ بالآيات القـــرآنية ســـواء أ كان الموضوع يخص المسلمين – مثل ندوة العلماء في لكناؤ والجامعة الإسلامية في علي جره – أو يكون على صلة بالقضايا الدولية مثل الحرب العالمية الأولى.. وبـــذلك الطـــريق استطاع مولانا آزاد أن يوصل رسالة القرآن الكريم إلى رجل الشارع، ويجعلـــها من الأمور العادية والمتداول فيها يوميا، ويخلق الانطباع بأن القرآن يحتوي على حلـــول لجميع مشاكل البشرية. وبالإيجاز يمكن القول بأن " الهلال" صارت – بما انطوت عليه من آيات قرآنية ومعانيها البديعة – ترجمة للقرآن الكريم بالمعنى الواقعي للكلمة[٦٣].

في تلـــك الأيـــام كرس مولانا اهتماماته على نشر وتعزيز الأفكار الدينية ونظرية الاتحـــاد الإسلامية تحت تأثير جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ونظرياتهما السياسية والإصلاحية. والأسلوب الخطابي الذي اتخذه مولانا آزاد في جريدتي " الهلال" و" البلاغ" قـــد تركز على الإسلام وعلى رسالته العامة. إنه عاد إلى تطبيق الشريعة على الحياة بجميع شـــعبها السياسية والاجتماعية، وفي ضوء ذلك وضع الاستراتيجية السياسية سواء أ كان الأمـــر اتصل بالأمة المسلمة أو بالكفاح ضد الاستعمار الانجليزي الجاثم على صدر الوطن والشـــعب. وفي تلك المرحلة من مراحل نشاطه السياسي عمل على تحقيق ثلاثة أهداف مـــتداخلة ومـــتكاملة بعضها للبعض، وهي إحياء التراث الإسلامي، والوطنية الإسلامية، واستعاد الوحدة والأخوة الدينية على المستوى العالمي[٦٤]. وذكر في مقال من مقالاته:

" مـــن واجـــب المسلمين أن يتخذوا من التعاليم الإلهية أساسا لجميع الأنواع من الـــتعاملات، وينفضوا التقليد للآخرين، ولا يتبعوا خطى الأمم المتقدمة ونظرياتها الوطنية والسياسة."

الحياة السياسية في الهند مرت بعواطف وهزات خلال سنولت أسر مولانا أزاد في رانتشي. وكان أحداث عام ١٩١٩ نقطة تحول كبير في تاريخ الكفاح. لقد أقيمت في ٦ أبريل من السنة المذكورة تظاهرات احتجاجا على تنفيذ قانون التمرد الذي سماها الوطنيون بـــ " القانـــون الأســـود ". وفي ١٣ أبريل افتعلت السلطات البريطانية المجزرة البشعة الوحشـــية في " حديقـــة جليانوالا" بمدينة امرتسار، حيث اجتمع الناس للاحتجاج على

اعتقالات القادة السياسيين. في هذه المذبحة الرهيبة قتل خمسمائة مواطن رجالا ونساء من بين المسلمين والهندوس والسيخ، ومن جراءها ثارت العواطف في كافة أنحاء البلاد[٦٥].

آزاد والأدب العربي:

يعـــرف كل من له إلمام باللغة العربية وآدابه أن مولانا آزاد له معرفة عميقة باللغة العربية وآدابها وفهو قد استدل في كتاباته العديدة بالشعر العربي بمختلف العصور. وأحاول في السطور التالية استعراض بعض مقالاته التي استدل فيها ببعض الأبيات العربية:

كـــتـــب مـــــولانا آزاد في افتتاحية جريدة " الهلال" الأسبوعية المؤرخة ٢٢ يوليو ١٩١٢م:

هنيئا لأرباب النعيم نعيمها　　　　وللعاشق المسكين ما يتجرع

وكـــتب مولانا آزاد مقالا حول " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ونشر هذا المقـــال في الأقســـاط، فكتب في القسط الثالث من مقاله الذي تم نشره في ١٨ أغسطس ١٩١٢م:

ورواء ذاك فلا أقول لأنني　　　　سر لسان النطق عنه أخرس

وذكـــر آزاد في جريدة " الهلال" التي أصدرت في غرة سبتمبر ١٩١٢ عن مرض زوجته فكتب :

من لم يكن للوصال أهلا فكل طاعـــا تبـــد ذنـــوب

وكتب آزاد مقالا عن " أهداف المسلمين المستقبلية " .

ونار لو نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في الرماد

وكتب عن الحرية في جريدة الهلال ١٨ ديسيمبر ١٩١٢ وكتب هذا البيت:

لو يسمعون كما سمعت ولامها خروا لعزة سجدا وركوعا

وكـــتب مولانا آزاد مقالا في جريدة الهلال الصادرة في ٢٨ مايو ١٩١٨م حول تحـــريم السب والشتم لأهل البيت وهذه الفكرة أخذها آزاد من سيرة عمر بن عبد العزيز الذي كان قد حرم السبب والشتم لأهل البيت، وفي هذا المقال نقل آزاد أبيات قالها كثير عزة:

ولـــــــــــــيت ولم تسبب عليا ولم تخف

مريــــــــــــــبا ولم تقبل مقابلة – مجرم

وصدقت القول الفعال مــــــــع الذي

أتــــيت فأمسى راضيا كــــل مسلــم

فـــمـــا بين مـــشرق الأرض والغرب كلها

مناد ينادي من فصـــيـــح وأعـــجـــم

يـــقـــول أمـــير المؤمنين – ظلمتني

بأخـــدك ديناري وأخـــذك درهمي

فاربح بها من صفقة – كمبـــائع

وأكرم بـــهـــا من بيعة ثم أكـــرم

وبـــدأ آزاد يكـــتـــب مقـــالا حول " وضع المسلمين الهنود واستراتيجية الحكومة التعليمية" وذكر هذا البيت:

وما انخفضوكم يرفعوكم وإنما

رأوا خفضكم طول الحياة لهم رفعا

وكتب مولانا آزاد مقالا عن حزب الله وأهدافه في جريدة الهلال في ٢ يوليو ١٩١٣م وذكر هذا البيت:

لساني أعيي في الهوى وهو ناطق

ودمعي فصيح في الهوى وهو أعجم

ويذكر في نفس المقال هذين البيتين:

أنا من أهوى ومن أهـــــوى أنا   نحــــن روحــــــان حــــلــلنا بدنا

فإذا أبصرتني أبــــصــــرتـــــــه   وإذا أبـــــصـــــرتــــه أبـــصـــرتنا

وكتب آزاد هذا البيت في مقاله عن حديث الجنود في أكتوبر ١٩١٤:

إذا جاء موسى وألقى العصا   فقد بـــطـــــل السحر والساحر

وكتب مولانا آزاد مقالا عن "العراق وليلى العراق" وذكر أبيات قيس العامري:

يقولون ليلى في العراق مريضة   فمـــــا لك لا تضني وأنت صديق

شفى الله مرضى بالعراق فإنني   علـــــى كل مرض بالعراق شفيق

فان تلك ليلى بالعراق مريضة   فاني في بحر الحتـــــوف غريق

أهم بأقطار البلاد وعرضها   ومالي إلى ليلى الغداة طريـــق

ونقل أيضا:

إذا كان هذا الدمع يجري صبابة   على غير ليلى فهو دمع مضيع

وتطرق آزاد عمر بن الخطاب في جريدته " البلاغ" وكتب هذا البيت:

مضى الدهور وما أتين بمثله ولقد أتى فعجزن عن نظرائه

وكـــتب مولانا آزاد مقالا عن "الإسلام والقومية" في الهلال الصادرة ١ يونيو ١٩٢٧ و ذكر هذا البيت:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بـــواد وحــولي أذخر، وجليل

قـــام مـــولانا آزاد بتأليف كتاب " تذكرة" حينما كان مسجونا خلال يوليو – أكتوبر ١٩١٦ وكما كتب عن الشخصيات البارزة الهندية وذكر فيه بيتين:

لا تـــقبل دارها بشـــرقي نجد كـــل نـــجــــد العامرية دار

فلها مترل على كــل أرض وعـــلـــى كل دمـــنة آثار

وكتب آزاد على صفحة ٥٤ في كتابه " تذكرة" عن العلماء ذوي النظرة الضيقة و المتـــزمة الذين يصدرون الفتاوى بالتكفير بالعجلة وبعد ذكرهم كتب هذا البيت:

يا سالكا بين الأسنة والقنا إلى أشم عليك رائحة الدم

وذكر مزيدا:

فلما استبان الصبح أدرج ضوئه بإسفاره أضواء نور الكواكب

ميـــز آزاد الفرق بين علماء الحق وعلماء السوء في كتابه تذكرة على صفحة ٦٠ واستدل ببيت امرئ القيس:

نزلوا بمكة في قبائل هاشم ونزلت في بيداء بعد منزل

وكتب على صفحة ٨٢ عن واقعة الشيخ علائي وتمزيق جثته واستدل بهذا البيت :

فمن شاء فلينظر إلي فمنتظري نذير إلى من ظني أن الهوى سهل

ويكتب على صفحة ٩٤

ويكره أن يشرب من فضة ويسرق الفضة أن نالها

ويكتب على صفحة ٩٥

فان كنت لا تدري فلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

كتب آزاد على صفحة ١٥٢ عن حياة الإمام أحمد بن حنبل واستدل بهذين البيتين:

لقد صار في الآفاق أحمد محنــــــــــة وأمر الورى فيها فليس بمشكل

ترى ذا الهوى جهلا لأحمد مبغضا وتعرف ذا التــــقوى يحب ابن حنبل

ويواصل آزاد على صفحة ١٥٦ عن أحمد بن حنبل واستدل بهذين البيتين:

ونبئت ليلى أرسلت بشفاعة إلـــى فهلا نفس ليلى شفيعها

أكرم من ليلى علي – فنرتجي به الوصل أم كنت أمرا لا أطيعها

وذكر آزاد في كتابه " تذكره" عن حياة حافظ ذهبي وابن حجر عسقلاني. وكتب فيه أبيات حافظ الذهبي:

الـــفـــقـــه قـــال الله قـــال رسوله إن صح والإجماع فاجهد فيه

وحذار من نصب الخلاف جهالة بيـــن النبي وبين رأى فقية

وكتب آزاد على صفحة ٢٢٢ عن مدينة راتشي:

وبلدة ليس بها أنيسي إلا البعامير والعسيس

في نهاية هذا الكتاب، كتب هذين البيتين:

فلولا أحست في لقطي قصورا وحفظي والبراعة والبيان

فلا تعجل إلى لومي فرقصي على مقدار إيقاع الزمان

غبار خاطر

كتب آزاد رسالة في ٣ أيلول ١٩٤٥ مذكورة في كتابه "غبار خاطر" على صفحة ٦ واستدل بهذا البيت :

كيف الوصول إلى سعاد ودها قلل الجبل وبينهم خيـــــــوف

وكـــتب رسالة في ٣ أغسطس ١٩٤٢ وذكر عن الشاي ولذته و ذكر بيت أبي نواس:

رق الزجاج ورقت الـــــخمر فـــــــتشـــــــابها وتشاكل الأمر

فكأنما خـــــــــمر بلا كأس كأنــــــمـــــا كـــأس بلا خمر

ويواصل:

ألا فاسقني خمر وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا فقد أكمن الجهر

وكتب في إحدى رسائله عن قلعة " أحمد نكر" ونقل فيها هذا البيت:

ونحن أناس لا توسط بـــــــينا لنا الصدور دون العاملين والقبر

وكـــتب قصة عن " البوم والعندليب" في كتاب غبار خاطر و انتهت القصة على هذه القصيدة:

ومما شجاني أني كنت نـــــائمـــا أعلل مـــــن بعد بطيب التنسم

إلى أن رعت ورقاء من غض أيكته تفرد مبكـــــــاها بحسن الـــترنم

فلو قبل مبكاها بلــــــيت صبابة لسعدي شفتتيت الـــنفـــس قبل التندم

ولكن بكت قبلي مهيــــــــج لي البكاء   بــــــكاها فقلت الفضل للمتقدم

وكتب عن الموسيقى والشعر في كتاب غبار خاطر واستدل ببيت بشار بن برد:

يا قوم أذني لبعض للحي عاشقة   والأذن تعشق قبل العين أحيانا

من هذه الأبيات الشعرية التي استدل بها مولانا آزاد يتضح بأن هذا الرجل له ثقافة واسعة باللغة العربية والإلمام بنواصيها كما له ذوق أدبي رفيع في اختياره للأبيات العربية. ويعتــبر آزاد فــريد عصره من حيث علمه الوافر وبعد نظره للأمور كما ترك بصمات واضحة في شتى العلوم على المستوين الداخلي والخارجي.

المراجع:

[١] ـ مجلة " ثقافة الهند" عدد ممتاز عن مولانا أبو الكلام آزاد، الجزء الأول، المجلد ٣٩، العدد ١ ـ ٢، ص ٤٤

[٢] ـ المرجع السابق، ص ٣٢

[٣] ـ ثقافة الهند " حياتي" مولانا أبو الكلام آ.اد: المجلد : ٩، العدد ٣، سيبتمبر ١٩٥٨، ص: ٢٢-٢٥

[٤] ثقافة الهند عدد ممتاز عن مولانا آزاد: ص: ١٠٨

[٥] ـ المرجع السابق نفسه، ص ٣٢

[٦] ـ مجلة الآداب العربية، قسم اللغة العربية و آدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي، ٢٠٠٢ م ص ١٣٢

[٧] ـ مجلة " جامعة " الشهرية (الأردية) المجلد ٩٧، العدد ١-٣، يناير ـ مارس ٢٠٠٠م، تصدر من الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي، ص ٦١ ـ ٦٢

[٨] ـ مجلة " صــوت الشرق" العدد ٤٣١، نوفمبر ـ ديسمبر ٢٠٠٢م، تصدر القاهرة، مصر، ص ١٧

[٩] ـ مجلة " ثقافة الهند" عدد ممتاز عن مولانا أبو الكلام آزاد، الجزء الأول، المجلد ٣٩، عدد ١ ـ٢ ص : ١٣

[١٠] ـ أيضا

[١١] ـ ثقافة الهند " حياتي" أبو الكلام آزاد، سبتمبر ١٩٥٨، ص: ص: ٢٢-٢٥

[١٢] ـ مــجلة " ثقافة الهند" عدد ممتاز عن مولانا أبو الكلام آزاد، الجزء الأول، المجلد ٣٩، عدد ٣-٤ ص ٣١٣

[١٣] ـ أيضا، ص: ٣١٤

[١٤] - أيضا: ص :٥٩
[١٥] - أيضا، ص: ٦٠
[١٦] - أيضا: ص: ٦٠
[١٧] - أيضا: ص: ٦١
[١٨] - أيضا: ص: ٦١
[١٩] - أيضا: ص: ٧٢-٧٣
[٢٠] - أيضا: ٧٣
[٢١] - أيضا: ٧٤
[٢٢] - مجلة " ثقافة الهند" عدد ممتاز عن مولانا أبو الكلام آزاد، الجزء الأول، المجلد ٣٩، العدد: ٣-٤، ص ٤٣
[٢٣] - أيضا: ص ٤٣
[٢٤] - أيضا: ص: ٤٤
[٢٥] - أيضا: ص ٤٤-٤٥
[٢٦] - أيضا: ص ٤٥
[٢٧] - أبو الكلام آزاد : أزادي هند، "Indian Wins Freedom" ترجمة اردية: رئيس جعفري لاهوري، حق بك اكيدمي، ١٩٥٩م ص ١٣٢
[٢٨] - أبو الكلام آزاد : "خطبات آزاد" تحقيق : مالك رام ، ساهتيه اكاديمي، نيو دلهي، ١٩٨٥، ص ٥١
[٢٩] - المرجع السابق، ص ٥٧
[٣٠] - المرجع السابق، ص ٢٠٧ - ٢٠٨
[٣١] - المرجع السابق، ص ٢٩٠ - ٢٩١
[٣٢] - المرجع السابق نفسه، ص ١٢٩
[٣٣] - مجلة " صوت الشرق" العدد ٤٠٢، يناير - فبراير ١٩٩٨، ص ٦
[٣٤] - مجلة " ثقافة الهند" عدد ممتاز عن أبوالكلام آزاد: ص ١٠٢ - ١٠٣
[٣٥] - أبو الكلام آزاد: خطبات آزاد، ص ٢٩٩
[٣٦] - المرجع السابق، ص ٢٠٥
[٣٧] - المرجع السابق، ص ٢٩٧
[٣٨] - مولانا آزاد :" تحريك نظم جماعت" تحقيق : أبو سلمان شاهجهانبوري، نذير سنس ببليشر، ١٩٧٨، ص ٢١
[٣٩] - أبو الكلام آزاد: بنيادي تصورات قرآن، تحقيق د/ سيد عبد اللطيف، اكاديمي آف اسلامك استديز، حيدر آباد دكن، ص ١٢١- ١٢٣
[٤٠] - مجلة " ثقافة الهند" عدد ممتاز عن أبوالكلام آزاد: ص ١٢٤
[٤١] - أبو الكلام آزاد:" خطبات آزاد" ص ٢٩٨
[٤٢] - ضياء الدين الإصلاحي:" مولانا أبو الكلام آزاد" دار المصنفين اكيدمي، اعظم كره، الهند، فروري ١٩٩٨ ، ص ١٥٣
[٤٣] - المرجع السابق، ص ١٥٤- ١٥٥
[٤٤] - أبو الكلام آزاد:" ترجمان القرآن" (سورة فاتحة و حواشي)،ج ١، ساهتيه اكاديمي، ١٩٨٠ ، ص ١٤٠
[٤٥] - أبو الكلام آزاد :" خطبات آزاد" ص ٢٠٥
[٤٦] - India' s Maulana :Abul Kalam Azad, Vol. II, Edited by : Syeda Saiyidain Hameed, ICCR, 1990, P. 161

[٤٧] - Ibid, p 166

[٤٨] - Ibid, P. 190

[٤٩] - Ibid, p. 162

[٥٠] - مولانا أبو الكلام آزاد: " بنيادي تصورات قرآن": تحقيق د/سيد عبد اللطيف، ص ١٢١-١٢٣

[٥١] - India' s Maulana :Abul Kalam Azad, Vol. II, Edited by : Syeda Saiyidain Hameed,, P. 192

[٥٢] - Ibid, P, 213

[٥٣] - Ibid, 213

[٥٤] - مجلة ثقافة الهند، عدد ممتاز عن مولانا أبو الكلام آزاد، الجزء الأول، المجلد ٣٩، العدد ١-٢ ص ٢٣١

[٥٥] - أثار أبي الكلام آزاد: قاضي عبد الغفار، ص: ١٤

[٥٦] - أيضا، ص ١٠

[٥٧] - ثقافة الهند عدد ممتاز عن أبو الكلام آزاد، ج ٣٩، عدد ١-٢، ٢٣٢-٢٣٣

[٥٨] - سورة بني إسرائيل

[٥٩] - ثقافة الهند، المجلد: ٣٩، العدد ٣-٤ ص ٢٦،

[٦٠] - أيضا، ص ٢٨

[٦١] - أيضا، ص ٣٠

[٦٢] - ثقافة الهند، ص :٣١

[٦٣] - أيضا، ص ٣٣

[٦٤] - أيضا، ص:٣٣-٣٤

[٦٥] - أيضا: ص ٣٥

الباب الثاني

مجلة الجامعة

بداية الصحافة في الهند

بـــــدأت الصــــــحـــافة في الهـــــنــــد في أواخر القرن الثامن عشر عند ما قام (James Augustus Hicky بإصــــــدار "بنـــــغال غـــــزت" أو (Advertiser) (Calcutta Journal) في ٢٩ ينايـــر ١٧٨٠م، وكانت "جام جهان نما" (كأس ينعكس فيه العالم) أول صحيفة تصدر باللغة الأردية وهي صحيفة أسبوعية صدرت في كولكاته في ٢٧ مارس ١٨٢٢م وأضيف إليها عمود باللغة الفارسية في ١٥ مايو من نفس العام، ومما يدل على إعجاب القراء بهذا العمود أن الصحيفة بأسرها أصبحت تصدر باللغة الفارسية بعد صدور عددين بالأردية في ٢٩ مايو – ثم صدرت صحيفة أسبوعية أردية في دلهي في أول يناير ١٧٣٧م بإسم " دهلي أردو أخبار" وقام بتحريرها المولوي محمد باقر والد محمد حسين آزاد أحد رواد الأدب الأردي الحديث – وفي عام ١٨٤١م أصدر سيد محمد خان الأخ الكـــبير للسير سيد أحمد خان صحيفة أسبوعية أخرى باسم "سيد الأخبار" في دلهي وقـــام بتحرير الصحيفة السيد عبد الغفور – وأثناء المعركة الفاشلة للتحرير عام ١٨٥٧م توقفت الصحف الأردية العديدة عن الصدور، ومن بين الصحف البارزة التي استمرت في الصـــدور كان صحيفة " كوه نور" (لاهور) لصاحبها المنشي هر سوك راي (١٨٥٠ – ١٩٠٤م) والصـــحيفة اليومـــية الأولى للغـــة الأرديـــة " أردو جايد" (الدليل الأردي) (كـــولكاته) لصاحبها المولوي كبير الدين (١٨٥٧م) و " بيسه أخبار" (جريدة الفلس)

الصـــادرة في لاهـــور (١٨٥٨-١٩٥٤) وصحيفة "أودهــ أخبار" الأسبوعية لصاحبها المنشي نول كشور (لكهنؤ) والتي صارت يومية في عام ١٨٧٤م.[١]

وبـــدأت الصحافة البناءة على يد السير سيد أحمد خان عند ما أصدر صحيفة " المجـــتمع العلمي " (Scientific Society) (١٨٦٦م) و " تهذيب الأخلاق" (١٨٧٠م) ويقول شانتي رنجن بهتا تشاريا:

" إن حوالي ٥٠٠ صحيفة باللغة الأردية صدرت في مختلف أنحاء الهند أثناء الفترة من ١٨٢٢م حتى ١٨٩٩م."[٢]

كـــان هذا وضع الصحافة الهندية عند ما دخل أبو الكلام آزاد إلى مجال الصحافة وهـــو يناهـــز ١١ ســـنة من عمره فقط بإصدار مجلته الشعرية الشهرية " نيرنغ عالم" (عجائـــب العالم) عام ١٨٩٩م ولكنها توقفت عن الصدور بعد ثلاثة أو أربعة أشهر، ثم أقـــنعه أحد أصحاب المطابع بتحرير صحيفة أسبوعية " المصباح" في أواخر عام ١٩٠٠م وهذه الصحيفة أيضا لم تصدر إلا لثلاثة أشهر و نشر فيها آزاد مقالاته حول موضوعات عديدة مثل " الغزالي" و"نيوتن" و " قانون جاذبية الأرض" و "مهرجان الـــعـــيد". وفي مايو ١٩٠٢م نشر مقالا تحت عنوان " قوة الصحافة" في مجلة "مخزن" (لاهور) وهي مجلة أدبية بارزة قام بتحريرها السير عبد القادر.[٣]

وقـــام آزاد بتحريـــر جـــزء النثر للمجلة الشعرية الشهرية "خذنج نظر" (لكهنو) لصاحبها المنشي نوبت راي نظر[٤].

ويـــبدو من تعليقاته التي كتبها في "لسان الصدق" على المؤتمر الصحفي الإسلامي أنـــه حرر لبعض الوقت صحيفة " أدوارد غزت" الصادرة في شاه جهانبور في الفترة بين ١٩٠٢ و ١٩٠٣.[٥] وفي أوائـــل عام ١٩٠٣م كان يكتب في صحيفة " أحسن الأخبار" وهـــي أسبوعية صادرة في كولكاته قام بتحريرها المولوي سيد أحمد حسين الفتحبوري، ونشر مقالا تحت عنوان " الإسلام ومحرم الحرام" هجم فيه على المراسيم المرتبطة به وأثار هذا المقال ردود فعل شديدة لدى الشيعة[٦] في مدينة كولكاته.

والحـــياة الصحافية الحقيقة لأبي الكلام آزاد بدأت عند ما أصدر صحيفة " لسان الصدق" بصورة منتظمة استمرت في الفترة ما بين ٢٨ نوفمبر ١٩٠٣م إلى مايو ١٩٠٥ م، ومـــع كـــونها أسبوعية لم يصدر لهذه الصحيفة إلا ١٢ عدداً أثناء تلك الفترة وذلك بسبب المشاكل المالية التي واجهها آزاد إلى جانب مرضه، وحدد آزاد أهدافاً واضحة لهذه الصـــحيفة وهي الإصلاح الاجتماعي للمجموعة المسلمة و تشجيع ترويج اللغة العربية في بـــنغال وغرس المذاق الأدبي لدى العقلاء، والاستعراض النقدي للكتب الأدبية. وتعكس الصـــحيفة التـــزامه تجـــاه أفكـــار السير سيد أحمد خان حول الإصلاحات الاجتماعية والتعليمية، ومن هذا المنطلق كانْ يطمح لجعل الصحيفة ذات مستوى أدبي رفيع، و كما

تـدل المقـالات المنشـورة فيها على ذوقه الأدبي الممتاز وتعد من النماذج الرائعة للنثر الإنشائي.[٧]

وأوضح آزاد أهمية اللغة الأردية عند ما كان ولداً صغير السن وجعل من صحيفته ناطقـا باسـم " أنجمن ترقي أردو" (لجنة تطوير اللغة الأردية) وأدرك الاحتياج للغة الأم ذريعـة للتعليم على المستوى العالي وتوقع نفس الشيء من بعض المهرة والإخصائيين في مجـال التعلـيم. وبمـرور الأيام وافق هؤلاء على رأيه إذ وجدوا لغة الأم أفضل ذريعة للتعليم.[٨]

ميـزة بارزة أخرى لهذه الصحيفة تمثلت في دورها لترقية من مستوى النقد الأدبي للكـتب. الحقيقة أنه كان يريد إصدار صحيفة باسم "الاستعراض" ولكن لم يحالف هذا المشـروع النجاح وأن تفكير في مثل هذه المشاريع في العقد الأول من القرن الجاري يدل علـى أن آزاد بصفته صحفياً كان يسبق اتجاهات عصره بكثير، فكان يريد تقييماً نقدياً للكـتب بصورة موضوعية وبدون تحزب، ومن هذا المنطلق قال بالدفاع عن السير سيد أحمـد خان والشاعر المصلح الكبير ألطاف حسين حالي، ذلك في تعقيبه على استعراض " حـيات جاويد" وهو من تأليف حالي وقام بنقده حبيب الرحمن الشيرواني في " المخزن" وعبد القادر في " عليجره غزت".

والمقالات المنشورة في " لسان الصدق" تدل على مدى التقدمية الحداثة التي تميزت بها أفكار آزاد حول موضوع التعليم الذي كان في رأيه أداة للإصلاحات الاجتماعية وكانت تستحوذ على فكره قضية نشر الأفكار العلمية في أوساط المثقفين على أن يكون للغة الأردية الدور الحيوي في ذلك، وانطلاقا من هذا أنه أكد بوجه خاص على ضرورة ترجمة الآثار العلمية والفلسفية خاصة فيما يتعلق بـ" بيكون" و "نيوتن" و"داروين" إلى اللغة الأردية. بالإضافة لحرصه على استحداث روح التحقيق والبحث في ماهية الأشياء لدى قرائه[٩]، إذ من شأنها أن يمهد السبيل للإنعاش الفكري للمجموعة المسلمة، ولسوء الحظ توقفت الصحيفة عن الصدور من جراء المشاكل المالية. وبعد عشرين سنة أدرك آزاد عن تلك الصحيفة:

" إنها لم تكن أكثر من لعبة للطفولة."

وأكتسب آزاد الاعتراف لدى المثقفين والمفكرين من المسلمين بصفته محرراً لصحيفة " لسان الصدق" فاستغربوا على قيام شاب مراهق يناهز ١٤ سنة فقط بإصدار صحيفة ذات مستوى أدبي رفيع تنال الإعجاب والتقدير على نطاق واسع مشكلا ومضمونا. و لم يتيقن السيد حالي (١٨٣٧- ١٩١٤م) بكونه محررا لصحيفة مثل " لسان الصدق" وتملكته الحيرة عند ما تكشفت له الحقيقة.

هـذا، وجـاءت مرافقة شبلي النعماني (١٨٥٧ - ١٩١٤) وهو مؤرخ وشاعر وناقـد وكاتـب للسـير وعالم كبير للفارسية والعربية والأردية كنقطة تحول في تطوره الفكري ، فمنذ عام ١٨٩٩م ظل آزاد يتبادل الرسائل مع شبلي حول الموضوعات الدينية والأدبـية، وأعجبه مقال آزاد حول " أشعة أكس" في صحيفة "خدنك نظر" وأنهما التقيا للمرة الأولى في ممباي عام ١٩٠٥م عند ما قصر أزاد زيارته للعراق وعاد إلى الهند بسبب مرضه، فاقترح عليه شبلي بالقدوم إلى لكهنو ومساعدته في تحرير " الندوة" وهي صحيفة ناطقة بلسان دار العلوم ندوة العلماء، تهتم بالموضوعات الإسلامية الدينية والحضارية، وأن اشتغاله بهذه الوظيفة من أكتوبر ١٩٠٥م حتى مارس ١٩٠٦م أكسبه السمعة الجيدة لدى الباحـثين ورجـال الدين من المسلمين، وفي هذه الفترة قام بدراسة عميقة للقرآن الكريم والـتاريخ الإسلامي، وكتب عدة مقالات عن شتى الموضوعات من بينها " المسلمون - مخزن المعرفة والوصايا لأوربا" و " القضاء في الدول الإسلامية" و"حقوق المرأة" ودافع فيها عـن مسلك الاعتدال المعتمد على تعاليم الإسلام وهو الطريق الوسط بين الحرية المتطرفة للغـرب والقيود المتشددة للشرق. ومقالاته التي كتبها في "الندوة" تتميز بمستوى أكبر من البراعة ونطاق أوسع للمحتوى بالمقارنة مع كتاباته في " لسان الصدق".[١٠]

من جهة أخرى بناء على إلحاح الشيخ غلام محمد، صاحب صحيفة " الوكيل" في أمرتسـار في طلـبه منه لتحرير تلك الصحيفة قام آزاد بتحريرها من أبريل حتى نوفمبر ١٩٠٦م وعـاد إلى كـولكاته بسبب مرض أخيه، ثم اشتغل بتلك الوظيفة مرة ثانية من

أغسطس/ سبتمبر ١٩٠٧م حتى أغسطس ١٩٠٨م، وأثناء هذه الفترة نشر مقالات حول " علـــي جره" والوضع السياسي في تركيا ومصر، وبينما كانت الصحيفة تصدر مرة كل ثلاثـــة أسابيع جعلها آزاد نصف شهرية وزاد في انتشارها مرتين تقريباً. وهذه الصحيفة جعلـــت آزاد يقتـــرب مـــن الواقع المعاش للسياسة الهندية وزادته خبرة في مجال القضايا القومية، ولكنه ترك الوظيفة بناء على خلافات مع صاحب الصحيفة.[١١]

وعند ما قطعت صلته عن صحيفة " الوكيل" للمرة الأولى وعاد إلى كولكاته أعاد إصدار صحيفة " دار السلطنت" بناء على طلب صاحبها محمد يوسف ولكن لفترة قصيرة في يناير ١٩٠٧م.[١٢]

توســـع أفقه الفكري وتكون مزاجه السياسي نتيجة لزيارة لكل من العراق ومصر وســـوريا وتـــركيا وفرنسا عام ١٩٠٨/١٩٠٩م، ففي دول الشرق الأوسط سنحت له الفرصـــة للاتصال بالثوار الإيرانيين والعرب من أتباع مصطفى كامل وسبق أن كان قد التقى في الهند مع الثوريين الهنادكة عن طريق شيام سندر تشكرافوورتي بمدينة كولكاته في الهند.

ومـــن خلال هذه اللقاءات اقتنع آزاد بأن المسلمين في الهند ينبغي ألا يبقوا بمعزل عـــن التيار الرئيسي للسياسة الهندية. وجدير بالذكر أن أفكاره السياسية رهينة لحد كبير لتأثره بالنشاط السياسي لجمال الدين الأفغاني (١٨٣٩م- ١٨٩٧م) والشيخ محمد عبده (

١٨٤٩م – ١٩٠٥م) بالنسبة للأفغاني فكان ثوريا لديه قناعته بأن الإسلام يمثل قوة كبيرة في الـــتاريخ وهو دين عالمي يتميز بصلاحية لتكييف نفسه حسب متطلبات الزمن، وكان مـــؤيدا للوحدة الإسلامية مصلحا متحرراً تصدي للتعليم الغربي بكل قوة في كتابه " رد المـــاديين" (القاهرة ١٨٨٠م) أكد أن تحديث مصر ليس منسجما فقط مع عقيدة السلف المفسرة على النحو السليم وإنما هو متوقف عليه ووصفه آزاد بأنه أعظم شخصية في الفترة الأخيرة للإسلام.

وكان محمد عبده مصلحاً كبيراً في أواخر للقرن التاسع عشر/ العشرين وهو أيضاً مـــثل معلمـــه الأفغاني تصدى للسيطرة الغربية وكان حريصاً على إحياء الإسلام بشكله الأصـــلي الحقيقـــي. وقـــام كلاهمـــا بإصدار صحيفة " العروة الوثقى" في باريس أثناء الثمانيـــنات، وعمل رشيد رضا أحمد أتباع محمد عبده على نشر أفكاره وأكد على أهمية دور الإسلام كوسيلة لإصلاح المجتمع الإسلامي. وتوجد بصمات واضحة لهؤلاء المفكرين الثلاثة على كتابات آزاد.

وجدير بالذكر هنا أن آزاد كان معجباً بالعربية العصرية خاصة الصحافة المصرية وكان يهتم بالحصول على الصحف والجرائد العربية في مكتب " أحسن الأخبار". [١٣]

ومعلـــوم أن الصحافة في مصر بدأت في القرن التاسع عشر نتيجة للنفوذ الفرنسي وكانـــت " الوقائـــع المصرية" أول صحيفة صدرت في العالم العربي عام ١٨٢٨م، وأثناء

إقامته في مصر من عام ١٨٧١م حتى عام ١٨٧٩م أحدث جمال الدين الأفغاني ثورة أدبية تأثر بها أديب إسحاق وسليم نقاش فاصدرا صحيفة باسم "المحروسة" عام ١٨٨١م تقريباً في الإسكندرية، ومن جهة أخرى بدأ سليم وبشاره تقلا في إصدار صحيفة " الأهرام" عام ١٨٧٥م وهـــي ولا تزال أكثر الصحف العربية شهرة وقيمة. أما الصحف الهامة الأخرى فكانـــت مـــن بيـــنها " اللـــواء" (١٩٠٠) للزعيم الوطني المعروف بـــ مصطفى كامل و"الجـــريدة" (١٩٠٧) لأحمـــد لطـــيف السيد ومجلات مثل " المنار" للشيخ رشيد رضا وكانت تهتم بنشر الأفكار الإسلامية و " المقطم " (١٨٨٩م) و " الهلال" لجرجي زيدان.

وبينما كانت القضايا السياسية موضع الاهتمام الرئيسي لدى معظم هذه الصحف كانـــت الأخيرة تهتم بالنزعات الأدبية والثقافية والعلمية في مصر وغيرها من الدول وكان لها دور رائد في تطوير فن الطباعة والإدارة المناسبة لوسائل التوزيع والنشر. وبالجملة أنها أصبحت تمثل عصراً جديداً في الصحافة المصرية، وبينما كانت "الهلال" أكثر شهرة كانت " المـــؤيد" تعرف بما كان لها من مستوى أدبي وثقافي رفيع، ومن الميزات البارزة للصحف المصرية أنها كانت تشتمل على عمود للآراء حول القضايا السياسية والثقافية والاجتماعية وتهـــتم بـــذلك العمود اهتماما أكبر منه بتغطية الأنباء العادية. وأثناء هذه الفترة كانت الوطنية ومناهضة الاستعمار الميزة البارزة للصحافة المصرية.[١٤]

والجديـــر بالذكر أن أزادْ أختار أسماء الصحف العربية لتسمية العديد من صحفه ومنها صحيفة " المصباح" و" الهلال" و"البلاغ" و " الجامعة".

والحقـــيقة أن آزاد رفـــع مـــن مستوى الصحافة ووصل به إلى مستوى الأدب، فمســـاهمته في مجال الصحافة ليس ممتازاً فحسب، بل هي خالدة إيضاً. والذي قال دراي دين (Dryden) حول شيكسبير بخصوص فنه المسرحي يصح بالنسبة قوله لصحافة مولانا أبو الكلام آزاد:

" لكـــن سحر شيكسبير يستحيل محاكاته في تلك الدائرة لم يستطع أحد أن يمشي إلا هو."[١٥]

لقـــد اتضـــح من هذا الاستعراض أن التزام آزاد تجاه الصحافة كان ثابتاً وكاملا وكانت فترة ما قبل عام ١٩١٢م فترة التجربة بالنسبة له في مجال الصحافة ولكنه في الفترة من ١٩١٢ حتى ١٩١٦م والتي أصدر فيها " الهلال" و"البلاغ" وصل بالصحافة إلى أوج الكمال والعظمة، وهي أفضل فترة للإنجاز بالنسبة لآزاد كصحافي.

بداية الصحافة العربية في الهند:

ظهـــرت الصحافة العربية في شبه القارة الهندية متأخراً بعد ظهور الصحافة باللغة الإنكليزية والفارسية والأردية للأسباب المتعددة التي أذكر بعضاً منها:

كان المسلمون في الهند ومازالوا ينظرون إلى اللغة العربية لغة مقدسة حيث نزل بها القـــرآن الكريم وفيها الأحاديث النبوية الشريفة وكان جل اهتمامهم بالتفسير والحديث والفقـــه ومـــا إليها وكان منهم القليل من يتقنها إلا أنها لم تلق رواجاً في الهند كالفارسية

مـــثلا. لأنها لم يقدم أحد على إصدار مجلة باللغة العربية في الهند إلا بعد ظهور الصحافة الإنجليزية والفارسية والأردية وبعض اللغات المحلية الاخرى في الهند.[١٦]

وتجدر الإشارة إلى أن الطباعة العربية ظهرت في الهند مع الطباعة الفارسية والأردية ولكنها كانت مقتصرة في البداية على طباعة الكتب الدينية. ثم قام الهنود بإصدار المجلات العديـــدة والجـــرائد المخـــتلفة في اللغة العربية. وتعتبر جريدة " النفع العظيم لأهل هذا الإقلـــيم". [١٧] تعد هذه الجريدة أول جريدة عربية في شبه القارة الهندية. وقام بتأسيس هذه الجـــريدة شمـــس الـــدين في السابع عشر من أكتوبر سنة ١٨٧١م وصدر أول عدد لهذه الجـــريدة وكان الشيخ مقرب علي رئيسا لتحريرها وكان جي دبليو لاتير المسجل بجامعة البنجاب من المشرفين عليها. وظلت تصدر هذه الجريدة بانتظام حتى عام ١٨٨٥م ولكن حيـــنما تـــوفي منشـــي محمد عظيم صاحب المطبعة التي كانت تقوم بطباعتها وهو والد مؤسســـها. وبـــدأت تصدر بشكل غير منتظم وذلك نتيجة الخلل الذي وقع في شؤون طباعـــتها، ولذلك لم يطل عمرها بعد وفاة منشي محمد عظيم حيث توقف إصدارها بعد فترة وجيزة من وفاته.

وتعتبر جريدة " النفع العظيم لأهل هذا الإقليم" من أهم الجرائد العربية في الصحافة الهـــندية قـــديماً حيث قامت بخدمات واسعة في نشر تعليم اللغة العربية والتعريف بالأدب العـــربي الحديث والأدب الغربيُ وكما أطلعت مسلمي الهند على أخبار العرب السياسية والثقافـــية والاجتماعية في الوقت الذي كانت أو كادت الهند منقطعة فيه تماما عن البلاد

العـــربية. وقامت بدور هام في تطوير الصحافة العربية في الهند والتي تطورت بسرعة فائقة حـــيث نجد اليوم عدداً هائلاً من المجلات والجرائد العربية في شبه القارة الهندية لا يقل عن الصــــحافة العــــربية في البلاد العربية من حيث أهمية المقالات التي تنشر والأسلوب الأدبي الصــــحفي والإخـــراج الفني. فكانت جريدة النفع العظيم لأهل هذا الإقليم" بمثابة اللبنة الأولى التي قامت عليها وارتفعت الصحافة العربية في الهند.[١٨]

وبعد جريدة " النفع العظيم لأهل هذا الإقليم" لم نجد جريدة عربية في الهند إلا بعد فترة طويلة لا تقل عن عشرين عاما، ففي ١٩٠٢ صدرت مجلة عربية باسم " البيان" من لكهنو والتي قامت بدور ملحوظ في إيجاد بيئة مناسبة لكتابة باللغة العربية بالهند.

وفي عام ١٩٢٣م صدرت جريدة رابعة في اللغة العربية باسم "الجامعة" من مدينة كـــولكاته، والتي كان يقوم بالإشراف عليها مولانا آزاد وفي عام ١٩٣٢ صدرت مجلة " الضــــياء" مـــن مدينة لكهنو و التي لعبت دوراً هاماً في تعزيز العلاقات بين مسلمي الهند والبلاد العربية، كما عملت على إيقاظ الوعي الإسلامي بين مسلمي العالم، والتي كانت تعد من رواد الصحافة العربية في شبه القارة الهندية، وإنها طلعت حينما كانت اللغة العربية بالهـــند فريسة الجمود والركود وكانت هذه المجلة مجموعة علم جم وأدب بارع ومعرفة واسعة وكانت طلبة الأبحاث وفصيحة العبارة وواضحة النهج وعنوانا من عناوين العروبة الناهضة.

تصـــدر مجلة " ثقافة الهند" . فظهرت هذه المجلة في عام ١٩٥٠م وهي مجلة فصلية كانت تصدر أربع مرات في العام، وقام بإصدارها المجلس الهندي للعلاقات الثقافية بالهند، وتهـــتم بتعريف الشخصيات الهندية ذات مكانة مرموقة ليس في نفوس الهنود فقط بل في نفـــوس بقية الناس في العالم والتي كان لها دور مؤثر في الفكر الإنساني في القرن العشرين منها على سبيل المثال : مولانا أبو الكلام آزاد، السيد سليمان الندوي وغيرهما كما كانت تهـــتم هـــذه المجلة ولا تزال بنشر العديد من المقالات حول آداب اللغات الهندية المختلفة وبنشـــر المقالات حول الفنون الجميلة العديدة وبإلقاء الأضواء على الثقافة الهندية المتنوعة عن طريق الترجمة.[٢٠]

وهناك سؤال لماذا أوجدت الصحافة العربية في الهند وماذا كانت دورها؟ الحقيقة هـــي أن اللغة العربية حينما لم تكن لغة التخاطب بين الهنود كالفارسية مثلا حاول بعض الهنود الذين كانوا يجيدون اللغة العربية نشر تعليم اللغة العربية ووجدوا في الصحافة العربية الطريقة الممهدة لهذا الهدف وبالفعل نجحوا في نشر تعليم اللغة العربية إلى حد كبير في شبه القـــارة الهـــندية من خلال الجرائد والمجلات العربية في الهند، هذا بالإضافة إلى أن علماء ومفكـــري مسلمي الهند أرادوا من خلال هذه الجرائد والمجلات العربية أن ينبهوا العرب وحكـــامهم إلى خطـــر الأوروبيين الداهم عليهم وخاصة في بداية القرن العشرين حينما تـــوغل الأوروبـــيون في البلاد العربية وأحكموا سيطرتهم. وقام هؤلاء العلماء والمفكرون

الهنود بنقد سياسة الحكام العرب وحذروا العرب من هذا المستعمر وحفزوهم على الثورة والطغيان ضد الغاصبين لإنقاذ العرب والمسلمين.

مجلة " الجامعة"

شـــجع البريطانيون حسين حاكم بلاد الحجاز في عام ١٩١٦ على أن يتمرد ضد الخلافـــة التـــركية. وازدادت أحوال الحجاز والبلاد العربية سوءاً. وكان المسلمون الهنود يؤيدون الخلافة التركية. فانزعجوا وتطاحنت الأفكار في أذهانهم بسبب سيطرة البريطانيين علـــى الحجاز، وفي أثناء هذا، كـــــــــــان مولانا آزاد مسجوناً في السجن بعد اعـــتقاله من قبل الانجليز في ٢٠ ديسيمبر عام ١٩٢١م. وكان له ولوع في سياسة الشرق الأوسط، فقـــام برحلة إلى البلاد الإسلامية للتعرف على أفكارها وأحوالها عن قرب عام (١٩٠٩-١٩٠٨) وكـــان العالم الإسلامي في تلك الفترة قد بدأ في التفاعل مع الأفكار الثورية لجمال الدين الأفغاني والدعوة الإصلاحية للإمام محمد عبده، وتلميذه رشيد رضا، فزار آزاد القاهرة ودعوة الأفغاني ومحمد عبده ومصطفى كامل، كان لها صدها في نفوس المصـــريين واتصـــل بـــرجال الأزهر ووقف على مناهجهم وطريقة الدراسة فيه، لكنه لم تستهوه ثم زار تركيا وفرنسا، لكنه لم يكمل زيارته إلى أوروبا وعاد إلى الهند بعد ما تلقى نبأ مرض والده.[٢١]

وخـــرج مـــن رحلـــته هذه بضرورة إحياء الروح الدينية واتخاذه أساساً للنهوض والتحرر من الاستعمار دون تعصب ديني، ومن ثم اتخذ وسائل علنية لإحياء الروح الدينية للمسلمين بدلا من العمل في الجمعيات السرية، يقول عن ذلك :" وبعد رجوعي إلى الهند، فكـــرت بعـــض الوقت فيما يكون منهاجي للعمل في المستقبل، انتهيت إلى ضرورة تربية الرأي العام، بحثاً لهذه الغاية لم يكن بدله غير إصدار مجلة.

أنشأها مولانا أبوالكلام آزاد في عام ١٩٢٣م في مدينة كولكاته واستهدفت آزاد بتأسيس هذه المجلة إلى مساندة الخلافة العثمانية التركية والمعارضة لسلطة الشريف حسين، حاكم الحجاز الذي يؤيد الحكومة البريطانية.

وكانـــت المجلـــة نصـــف شهرية، وكان أزاد يشرف بنفسه عليها، وفوض إدارة تحريـــرها إلى الشيخ عبد الرزاق مليح آبادي. استهدفت المجلة إلى اتحاد صفوف المسلمين بـــوجه خاص وجميع الأمم الشرقية بوجه عام. وعرف المسلمين الهنود في كل مكان وفي بـــلاد العربية الإسلامية والشرقية والحصول على الحرية السياسية والفكرية. وتبادل الآراء والأفكـــار بـــين العلماء والكتاب والمفكرين في أنحاء البلاد الإسلامية والعربية وإصلاح أحـــوالها لكـــي يتمكن المسلمون في كل مكان لا بد من التوحد بدلاً من التشتت الذي أصابهم، ولكي يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضاً، لا تهزهم قوة العالم كلها.

استهدفت المجلة إلى نشر اللغة العربية وتطويرها في الهند وأفغانستان لتقديسها عند كافة المسلمين، فلعبت هذه المجلة دوراً هاماً في إحياء العلوم الإسلامية وثقافة الأمة الإسلامية في الهند من خلال نشر المقالات الدينية والعلمية والثقافية. وكما قامت بدور مؤثر في إيقاظ المسلمين وتعريفهم بأمور دينهم ومبادئه الطيبة، وأدت واجبها في إثارة شعور وإحساس المسلمين بمسؤوليتهم وواجباتهم السياسية، وأثارت المحبة الإسلامية داخلهم بالرغم من أن عمرها لم يطل ولم يمتد الزمان بها كثيراً إذ توقف إصدارها لسوء الأوضاع الاقتصادية كما حدث لكثير من الجرائد والمجلات العربية غيرها بالهند. فتوقفت في مارس عام ١٩٢٣ وتعتبر هذه المجلة مصدراً هاماً للمعلومات المتعلقة للأوضاع السياسية خلال عامي ١٩٢٣- ١٩٢٤ في الهند وتركيا والحجاز ومن خلالها اطلعنا أيضاً على حركة تحرير الهند من المستعمرين الإنجليز ومظاهرها آنذاك. فهي بمثابة مصدر تاريخي وسياسي في آن واحد.[٢٢]

وقد وضح أبو الكلام آزاد أهداف الجامعة بإيجاز وهي :

١- نشر وإشاعة اللغة العربية حتى يتمكن الجميع من تفهم الأحكام الشرعية المدونة في هذه اللغة بين الهند وأفغانستان.

٢- محاولة تعريف رجال الدين المسلمين بالهند بالحديث عن الموضوعات والمشاكل المعاصرة ليدركوا من خلالها مسئوليتهم ولتفتح أفاقهم الفكرية.

٣- التعريف بالعلوم العربية باللغة العربية في الأوساط العلمية الهندية.

٤- تسهيل تعليم اللغة العربية لمسلمي الهند.

٥- محاولة تعريف هؤلاء الناس الذين لهم معرفة سابقة بالعربية بالحديث في اللغة العربية أسلوباً وحواراً.

٦- دعـــوة إلى الجامعة الإسلامية خاصة وجامعة جميع الأمم والأقطار الشرقية عامة.

٧- التعارف والتفاهم والتعاون والتناصر فيما بين جميع البلاد الإسلامية الشرقية حاصة بين شبه القارة الهندية والبلاد الإسلامية والعربية.

٨- إحياء العلوم الإسلامية عن طريق البحث والتحقيق.

٩- نشر المقالات العلمية وجمع المباحث.[٢٣]

- قـــد أنشأ أبو الكلام آزاد مجلة الجامعة لإثارة الحملة ضد الشريف حسين حليف الـــبريطانيين وبالفعـــل نجحت المجلة في الإطاحة بحكم الشريف حسين وحول هذا يقول الشيخ عبد الرزاق:

" كانـــت هـــذه الحـــركة إنشاء الجامعة صحيحة وفي الوقت المناسب، فبسببها أضطرب مسلمو الهند بصفة خاصة وعامة المسلمين الذي قاموا ليناهضون الشريف. ليس

هذا فحسب بل شجعت سلكان ابن سعود الذي كان يقدم القدم ويؤخر الأخرى خوفاً مـــن الإنجليـــز، وحـــيث أوضحت له المجلة إنه من حيث السياسة الدولية إن الإنجليز لا يســـتطيعون مساعدة الشريف، ولهذا تشجع ابن سعود وشمر عن ساعده وطرد الشريف حســـين وأسرته من بلاد الحجاز. وبهذا انتهت مهمة مجلة الجامعة التي أسست من أجلها وهي تحرير الحرمين الشريفين من الشريف حسن، لذلك توقف إصدارها".[٢٤]

وكانت مجلة " الجامعة" تنبه البلاد العربية إلى أهميتها في الساحة السياسية الدولية، وتحثهم على الاستقلال من المستعمرين وإن الهند تساندها في كل ما يعتريها من مشاكل. فكتب مدير المجلة مقالة تحت عنوان " مسلك الجامعة والعرب". فيقول :

"إن العرب في رأينا خير أمم الأرض، وهم منح العالم الإسلامي وقوامه، لإصلاح له إلا بصلاحهم ولا مستقبل له إلا بقيامهم، وذلك لأسباب لا تخفى على أحد ممن درسوا تـــاريخ المسلمين وحالتهم الماضية والحاضرة درساً صحيحاً. هذه الحقيقة هي التي تسوقنا معشر مسلمي الهند إلى الاهتمام بالمسألة العربية أكثر من غيرها من المسائل الإسلامية وهي التي حملتنا (الهنود) على أن لا يستريح إلا بعد أن نرى هذه المسألة فدخلت حلاً صحيحاً وحول مساندة مسلمي الهند للدول العربية . قال آزاد في خطبة له ألقاها في اجتماع لمؤتمر الجمعية الوطنية الكبرى:

" إن الهند تؤكد لمصر وسوريا وفلسطين والعراق ومراكش وجميع الأقطار الشرقية إن مئات الملايين من القلوب بالهند متململة لنجاحها وفوزها. إن الهنود بأجمعهم يتمنون لها الحرية والاستقلال كما يتمنونها لأنفسهم.. إن الهند تؤكد لجميع لسكان البلاد العربية بأن صوت استقلالهم وحفظ بلادهم من النفوذ الاجنبي لا يزال اليوم أيضاً غاية كبيرة بجهادها كما كان في سنة ١٩٢٠م الماضية وانها لا تزال تجاهد وتناضل حتى لا يبقى في أي ناحية عن البلاد العربية أدنى نفوذ للأجانب."[٢٥]

وبسبب دعوة مجلة " الجامعة" لجمع كلمة المسلمين واتحادهم واهتمامها بإصلاح حال المسلمين وتوجيههم إلى ما فيه الخير لهم نالت إعجاباً وقبولاً شديداً بين لدى الشعوب والحكومات في البلاد العربية وتركيا وأفغانستان والبلاد الإسلامية الأخرى. وحول هذا، كتب المدير في افتتاحية عددها الخامس والسادس والسابع:

" ولكننا نستلفت نظر زملائنا إلى أن المقصد العظيم الذي اتخذته " الجامعة" نصب عينها ليس مقصداً محلياً وخاصاً بقوم دون قوم، بل هو عام ومشترك بين سائر العالم الشرقي والإسلامي على سواء، ولا يتأتي لها النجاح فيه إلا إذا أيدتها الصحافة في جميع البلاد الشرقية والإسلامية. ورغبت فيها الناس مرة بعد مرة. فالجامعة تضع من وصفائها بمجرد التقريظ والكلمات اليسيرة. بل ترجو منها الرفاقة والإعانة والاشتراك في العمل، وإنما يكون هذا إذا اهتمت هي بمقاصدها وكررتها في مقالاتها وفصولها مراراً كثيرة. وأملنا قوي في الصحافة المصرية التركية خاصة، وستكون إن شاء الله عند ظننا بها."[٢٦]

ونشـــرت المجلـــة في عددها ٥- ٦- ٧- في الصفحة ٣٦ رسالة لقاري من مصر والتي يبين فيها مدى إعجابه بهذه المجلة تقتطف منها هذه العبارة:

" قـــرأت فصلا يأخذ باللب في " الأخيار" بعنوان " مصر والهند" وموضوعه مجلة الجامعة الهندية التي تنشر في كولكاته باللغة العربية وما نشرته هذه من المقالات القيمة وقد وصـــفت المجلـــة أنها " دعوة حارة إلى الجامعتين الإسلامية خاصة والشرقية عامة ووسيلة تعـــارف بين الأقطار الإسلامية والشرقية كآفة وأداة تعاون بين هذه الاقطار على توحيد مساعيها للنهوض."

كما مدحها خليفة المسلمين في تركيا إذ أرسل رسالة إلى مدير الجامعة يقول فيها:

"قد تشرفنا بمطالعة العدد الأول من مجلة " الجامعة" الغراء، وقد تبين لنا من المقاصد المهمـــة التي تلخص خطة " الجامعة" إن العالم الإسلامي سيجني منها فوائد عظيمة، ولهذا فإنني امتثالاً كما أمر به صاحب المقام المعلا الذي أتشرف بالانتماء إليه من قرب، وبصفتي خروًا مسلماً، أسال الله تعالى أن يكتب لكم التوفيق، كما أبني أرى من واجبي أن اتبع ما تنشره بمجلتكم الغراء بكل اهتمام."[٢٧]

هـــذا بالإضافة إلى الرسائل العديدة الأخرى التي تلقتها المجلة من قرائها من مختلف البلاد العربية والإسلامية بين إعجابهم بها. ونجد مثل هذه الرسائل منشورة على صفحات الجامعة في العدد السابع عشر.

كانـــت مجلة الجامعة مجلة سياسية وتاريخية واليوم أصبحت مجلة علمية موثوق بها. والباحثون يرجعون إلى مجلة الجامعة الصادرة خلال عامي ١٩٢٣-١٩٢٤. وهي مأخذة هامـــة للأفكار القومية والوطنية تشبه القارة الهندية وخارجها لتلك الفترة. وخاصة هذه المجلـــة أهم مراجع عن حركة الخلافة وتركة الموالاة والقسطنطنية في تركيا ومأزق أنقره وإدارة الخلافـــة وأفكـــار القـــادة لجمعية الاتحاد. وأدت هذه المجلة في داخل أهدافها إلى الخـــدمات الملية الوطنية الجليلة. وتحتوي مساهمات هذه المجلة على السياسة وإصلاح الملة والقـــوم والأعمال عن إحياء الإسلام والأدب والتاريخ ونشر اللغة العربية. ونستطيع أن نقدر مساهماتها خلال إلقاء النظرة العابرة على فهرس مجلة الجامعة.[٢٨]

ونشرت هذه المجلة شعر العلامة إقبال " النشيد القومي " وترجمتها في مجلة الجامعة وفي بداية هذا الشعر، كتب عن شخصية العلامة إقبال ومزاياها الشعرية. وترجم الأستاذ عبد الحق حقي الأعظمي البغدادي نشيد العلامة اقبال إلى اللغة العربية. وكان الأستاذ عبد الحق أديباً وشاعراً.[٢٩]

فيقول مليح آبادي عن الجامعة:

" كانت مجلة الجامعة مجلة ثورية تتسم بالجرأة والأسلوب النقدي اللاذع، كذلك كـــان سبباً في هجوم كثير من المسلمين على الشريف حسين ابن علي مما أثار حمية ضد المجلـــة ونســـي منصبه. وبدأ يسبها في مجلته الحكومية " القبلة" التي كانت يتميز بقرائها

المثقفين حيث كتب فيها مستهزئاً بأبي الكلام آزاد " ابو الكلاب" وكانت لغته لغة ركيكة وكنت قد سمعته يخطب في مكة المكرمة ففهمت من أسلوبه إن الكلمات التي نشرت في مجلة " القبلة" ضد الجامعة كان مما أملاه هو نفسه على كاتبه."[٣٠]

خلال نشر هذه المجلة واجه الشيخ عبد الرزاق مليح آبادي الصعوبات والمشاكل العديدة: وعانى من الانتقادات العديدة من قبل مؤيدي حاكم الحجاز الشريف حسين بعض منهم كتبوا إلى الشيخ مليح آبادي بأن يقتلوه وما إلى ذلك.

ولكن الشيخ عبد الرزاق مليح آبادي نقد الشريف حسين بن علي وأعماله الدينية كثيراً وذلك لخروجه على الخلافة الإسلامية ومخالفته لبريطانيا. هذا بالإضافة إلى ما كتبه عبد الرزاق مليح آبادي في إعداد المجلة عن الشريف حسين وانتقاده الشديد حينما أرسلت الحكومة المصرية كعادتها من قبل. البعثة الطبية المصرية و لم يقبلها الشريف حسين وردها إلى مصر ثانية. وذلك أسفر عن تدهور العلاقات بين الحجاز ومصر. ومن خلال كتابة عبد الرزاق نصل إلى نتيجة كتب عن هذا الموضوع أيضاً إن فعلة الشريف هذه التي أثرت كثيراً في نفوس مسلمي الهند الرافضة لما يقوم به الشريف حسين. وشنت الصحافة العربية الهندية حملة واسعة النطاق على الشريف مؤيدة ومساندة للحكومة المصرية. وكذلك كتب عبد الرزاق العديد من المقالات ذات الأسلوب النقدي اللاذع على الشريف حسين حينما أساء في معاملته مع حجاج مسلمي الهند بصفة خاصة، ومع عامة الحجاج الآخرين بصفة عامة. وكانت لكتابات ومقالات عبد الرزاق هذه الأثر البالغ في إثارة حمية مسلمي

الهـــند ضد النظام الحاكم في بلاد الحجاز آنذاك أعنى الشريف حسين. وفي هذه الغضون كان أبو الكلام آزاد كثير الترحال في إرجاء لهند لا يستقر به المقام وذلك لجهوده المضنية لكي يتمكن أهل شبه القارة من نقص وطأة الاستعمار عن بلادهم. ولذلك كلف شيخنا عـــبد الرزاق القيام بأعباء المجلة كله كما كانت يعجبه مقالات عبد الرزاق التي ينقد فيها الـــنظام الحـــاكم في الحجـــاز وبالرغم من هذا كانت المجلة تصدر حسب خطته و تحت رعايته.[٣١]

بدأت إصدار مجلة " الجامعة" من مارس عام ١٩٢٣ و وقفت هذه المجلة في مارس عام ١٩٢٤. وخلال هذه المدة، نشرت هذه المجلة المقالات التالية الهامة:

مقالات افتتاحية:

فاتحة الجامعة	٣:١-٤
نداء عالم لعالم الإسلام	٣:٢

شذرات:

جلالة مولانا أمير المؤمنين والجامعة	٥:١
شكر الجامعة لزملائها	٥: ١-٢
فضيلة الأستاذ أبي الكلام	٥: ٢
بشرى الصلح	٨: ١

المقالات:

باب التفسير

المختارات:

أقوال الجرائد العربية

الشؤون الداخلية:

العالم الإسلامي:

الأردن:

أفغانستان:

بحرين:

تركيا:

مسألة الخلافة التركية:

المسألة العربية:

فلسطين:

مصر:

الحوادث والأخبار

المراسلة والمناظرة:

كتاب من دار الخلافة : عمر رضا (تركي) ٥: ٢٧- ٣١

الحجازي ينتقد مسلك الجامعة ١٩: ٨-٩

كتاب مفتوح إلى صاحب مقالة " الحالة في البلد الحرام " ١٩: ٨

الخلافة : مضغة المتهوسين : ٢٠ : ٢٠- ٢٢

المراسلات:

دعوة عامة : محمد أمين الحسني (المفتي الأعظم لفلسطين)

٥: ٣١- ٣٢

المسلمون أمة واحدة: ٩: ١٦

كتاب مفتوح إلى عموم المسلمين : محمد بن محمد الفتة مكي ٩: ١٧

مجلة عربية تصدر من جاوا : أحمد بن محمد سوركتي ٩: ١٧

النعرة الطورنية وصداها : وواعيها ومظاهرها وتأثيرها في داخل تركيا وخارجها

١٣: ١٢- ١٦

الدية السياسية الشريفية ١٧: ١١- ١٤

الجمهورية التركية : عمر رضا ٢٠: ١٥ -١٧

كتاب من البحرين ٢٠ : ٤١ - ٤٢

المطبوعات الجديدة:

المتفرقات:

الشعر:

نشيد " اقبال" ترجمة: عبد الحق الأعظمي البغدادي ٢: ١٩- ٢٠

نشيدان الشرق من عدوان أخير الغرب : عبد الحق الأعظمي البغدادي

٣: ٢٨

تذكير الأمجاد وتبصير الأنجاد بواجب الاتحاد : عبد الحق الأعظمي البغدادي ٨: ١٣- ١٣ (٢) ١٩: ٢٩ –٣٠ (٣) ٢٠: ٢٤- ٢٥ (٤) ١٧: ٢٣- ٢٤

عراقي يصف حكومة العراق : آفندي الرصافي (عراقي) ٣: ٣١

عقد الصلح مع الحكومة التركية : الشاعر العربي ٩: ٨

غازي مصطفى كمال باشا: على ذكرى الفتح: شاعر البحرين شيخ سلمان بن أحمد بن عباس ١٩: ٣١- ٣٢.

وقــد نالت مجلة الجامعة صيتاً واسعاً بين السياسيين الهنود والعرب سمعة واسعة في الأوســاط العلمــية والصحافية، فقد تأثر بمقالات المجلة عدد كبير من العرب من حيث موضوعاتها ولغتها وأسلوبها، إلا أن هذه المجلة صدرت لعام واحد تقريباً فتوقفت في مارس عام ١٩٢٤م لأسباب مالية وسياسية.

المراجع:

[١] ـ ثقافة الهند، العدد الممتاز عن أبو الكلام آزاد، جلد ٣٩، عدد ٣ـ٤، ص ٨

[٢] ـ المرجع السابق، ص ٨ـ٩

[3] - مجلة " جامعة" الأردية، الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي، جلد: ٩٧، عدد ١-٣ يناير- مارس ٢٠٠٠م، ص ١٤٣

[4] - المرجع السابق، ص: ١٤٧

[5] - المرجع السابق، ص: ١٤٩

[6] - المرجع السابق، ص : ١٥١

[7] - المرجع السابق، ص: ١٥٦-١٥٨

[8] - المرجع السابق، ص: ١٥٩

[9] - المرجع السابق، ص: ١٦٢-١٦٧

[10] المرجع السابق، ص- ١٥٧-١٥٨

[11] - المرجع السابق، ص: ١٧٠-١٧١

[12] - المرجع السابق، ص: ١٧٢-١٧٣

[13] - المرجع السابق، ص:١٥١

[14] - ثقافة الهند، العدد الممتاز عن أبو الكلام آزاد، جلد ٣٩، عدد ٣-٤، ص:١٣

[15] - المرجع السابق، ص: ٧٣

[16] - د/ أيوب تاج الدين الندوي: الصحافة العربية في الهند- نشأتها وتطورها، راجندر بازار، جامو، الهند، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٧، ص ٨٢

[17] - المرجع السابق، ص: ٨٣

[18] - المرجع السابق، ص ٨٦

[19] - المرجع السابق

[20] - المرجع السابق، ص:٨٧

[21] - داكتر أبوسلمان شاه جانبوري: مولانا آزاد كي صحافت، إدارة تصانيف وتحقيق، باكستان، ١٩٨٩، ص ١٧٤

[22] - د/ أيوب تاج الدين الندوي: الصحافة العربية في الهند- نشأتها وتطورها، راجندر بازار، جامو، الهند، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٧، ص١٠٥

[23] - داكتر أبوسلمان شاه جانبوري: مولانا آزاد كي صحافت، إدارة تصانيف وتحقيق، باكستان، ١٩٨٩،ص: ١٧٧

[24] - المرجع السابق، ص ١٧٨

[25] - د/ أيوب تاج الدين الندوي: الصحافة العربية في الهند- نشأتها وتطورها، راجندر بازار، جامو، الهند، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٧، ص: ١٠٨

[٢٦] - مجلة " الجامعة" العربية، العدد ٥-٦-٧، ص:١

[٢٧] - المرجع السابق، ص:١

[٢٨] - داكتر أبوسلمان شاه جانبوري: مولانا آزاد كي صحافت، إدارة تصانيف وتحقيق، باكستان، ١٩٨٩، ص: ١٨٣

[٢٩] - المرجع السابق

[٣٠] - المرجع السابق، ص:١٧٧

[٣١] - ثقافة الهند، جلد:٥٢، عدد: ٢، ص:٦١-٦٢

الباب الثالث

ثقافة الهند

بعد استقلال الهند في عام ١٩٤٧م شكلت أول حكومة بها والتي كان نهرو رئيساً لـــوزراءها وراجندر براشاد رئيساً للجمهورية. وعين مولانا آزاد وزيراً للمعارف في هذه الحكــومة المستقلة، بأن هنالك فوائد كثيرة ومنفعة عظيمة مترتبة على التبادل الثقافي مع البلدان الأخرى، لذا أسس المجلس الهندي للعلاقات الثقافية بنيودلهي لكي يتبادل الهند من خــلال العلاقـــات الثقافية والفكرية مع دول العالم خاصة مع مصر وتركيا وبقية البلدان الإسلامية في ٢١ أغسطس عام ١٩٤٩ والذي من أجله عقد مؤتمراً في دلهي حضره عدد كبير من سفراء الدول الأخرى[١]. وقال آزاد في كلمته الافتتاحية:

" لقد كانت علاقات الهند منذ فجر التاريخ المدون إلى أواخر عهد الإمبراطورية المغولـــية، مع جيرانها – الغربيين منهم والشرقيين على السواء – حبية متينة. وإننا لنتذكر تلـــك البعثات الدينية والثقافية التي توجهت إلى البلاد البعيدة كالصين واليابان من جهة وإلى مصر وآسيا الصغرى من جهة أخرى. وكذلك نتذكر العلاقات التجارية الوثيقة التي كانت تسوق رجال التجارة من الهنود إلى بلاط بيزنطية، أو تسير بهم إلى البقاع الشرقية الجنوبية من آسيا، ليعمروها أو ينشؤا فيها مراكز للثقافة الهندية. وإنما لما نفكر في كل هذا وقـــع في زمن كانت وسائل المواصلات قليلة، إن لم تكن بدائية، ليزداد عجبنا لم تم من توثـــيق العلاقات إذ ذاك. وقد وُهنت هذه الأواصر بفقد الاستقلال السياسي، فأصبحت

روابطـــنا مع جيراننا ضعيفة متقطعة. قد كنت مقتنعاً بضرورة العمل السريع الحاسم لسد هذا الخلل، فقررنا بعد حصولنا على استقلالنا مباشرة تنفيذ المشروع الذي أمامنا الآن".[٢]

ورأس آراد هـــذه الإدارة وقـــام بإصدار هذه المجلة العلمية الثقافية المجلس الهندي للعلاقـــات الثقافـــية التابعة لوزارة الخارجية الهندية. وتعتبر هذه المجلة من أشهر المجلات الثقافـــية الـــتي تصدر بالغة العربية من الهند منذ عام ١٩٥٠م بانتظام، وكان الشيخ عبد الـــرزاق مليح آبادي أول مدير لها، ومن الأهداف الرئيسية لإنشاء هذه المجلة هي تطوير العلاقات التقافية وتوطيدها، والتفاهم المتبادل بين الهند والبلدان العربية وتجدر الإشارة هنا إلى أنـــا هده المجلة لا تمثل أية فكرة خاصة أو ثقافة خاصة، بل تمثل جميع الثقافات الهندية الجديـــدة منها والقديمة وهدا ما عدا العلوم والفنون العديدة الأخرى من القصة والحكاية والمســـرحية والـــرواية والسيرة الذاتية وما إلى ذلك، وأما المساهمون فينتمون إلى المجالات المختلفة للحياة الإنسانية من أساتذة الجامعات العصرية إلى معلمي المعاهد الإسلامية العربية وعـــدد كـــبير من المقالات المنشور منقول أو مترجم من اللغات الهندية أو الإنجليزية أو العربية.

تلعب هذه المجلة دوراً بارزاً في نشر اللغة العربية في الهند. وفي توطيد العلاقات مع الدول العربية. وحول هدا قال آزاد:

" وأرى أن المجلس (المجلس الهندي للعلاقات الثقافية) ينبغي له أن ينشيء لنفسه دارا للكتب ويفتح قاعة للمطالعة ويستعد لإصدار مجلات، ونشر مطبوعات مؤقتة أخرى."[3] لذا اهتم بالمجلة التي يصدرها المجلس أربع مرات مرات في السنة ولا تزال تصدر بانتظام حتى يومنا، ويقرأها القراء في الهند والبلاد العربية بصفة خاصة، وتصل إلى البلدان الأخرى من خلال السفارات ومراكز الثقافة الهندية بها. وأسس أزاد مجلة " ثقافة الهند" الفصلية هده وبدأ إصدارها في مارس عام ١٩٥٠م حسب فصول السنة الأربعة ولكنها بعد ثمانية أعوام من إصدارها بدأ تصدر كل ثلاثة أشهر دون النظر إلى الفصول الأربعة.[4]

تهتم " ثقافة الهند" بحضارة الهند قديمة كانت أو حديثة كما تولى الاهتمام بالثقافة التي تمثلها الهند قديماً وحديثاً. لذا يجدر بنا القول بأن هذه المجلة لها دور كبير في تثقيف الشعوب العربية والبلدان الأخرى بأثار الهند القديمة وفلسفتها ولغاتها وآدابها المتعددة ونفيس كتبها. كما أنها خير وسيلة لإطلاع العرب على الاتصال الوطيد الذي كان بين الهند والدول العربية في الزمن القديم. وهكذا تمهد هذه المجلة الطريق لتطوير العلاقات الثقافية وبالتالي علاقات الصداقة بين الهند والبلدان العربية الأخرى.[5] حول هذا كتب مديرها عبد الرزاق في افتتاحيتها :

" ما نالت الهند استقلالها السياسي، وملكت عنان نفسها حتى رأي قادتها تجديد وإنشاء العلاقات الثقافية الأدبية مع أقطار العالم كلها، إذ الثقافة بنتاج الإنسانية المهذبة

الـــودية، وبها يتيسر ربط الأمم بروابط الإخاء والسلام و قد تأسس مجلس الهند للروابط الثقافية وهو يرمي إلى هذا الهدف الإنساني نفسه.

وإن هذه المجلة – ثقافة الهند- أصدرها المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، لتقوم مع القـــائمين بأعباء الرسالة الثقافية، وتسعى لخلق جو حبي أممي، وذلك باهتمامها بالبحوث والشـــؤون العلمية الأدبية والثقافية، ونشر ما كان للهند من الحظ العظيم الفذ في الثقافة، وذكر ما هي تبذل من المساعي في هذا المضمار.[٦]

إن الهـــند القديمـــة بلغـــت مكاناً رفيعاً من الثقافة، تشهد لها بذلك أثارها العتيقة وبلغـــتها وآدابها ومصنفاتها. إن الثقافة الهندية لجديرة بأن تدرس بعناية ورقة لأنها أمتازت بميـــزات ولا تـــزال حية نشيطة. مالكة لميزاتها وقواها على رغم ما مرعليها من الكوارث وصروف الزمان.

تبذل المجلة جهدها في بيان الثقافة الهندية ونشر رسالتها وتقريب صورتها إلى قراءها العـــربية آملـــة بـــدلك تنمية العلاقات الحية وتوثيق الصلات الودية بين الشعب الهندي وشعوب آسيا الغربية ومصر وتركيا. "

وكانـــت المجلـــة لا تكتب على غلافها أو في أي مكان أخر اسم مدير تحريرها، ولكـــن من حلال الإطلاع على,أعداد المجلة المختلفة وعلى حياة آزاد وعبد الرزاق تحققنا من أن عبد الرزاق كان أول مدير لها. والسبب في عدم كتابة اسم المدير في ذلك الوقت

يدل على أن هذه الجيل كان لا يهتم بمثل هذه الأمور وإنما كان يركز اهتمامه على إصدار المجلة بلغة صحيحة وبتضمنها مقالات جيدة. وتولى شمعون طيب علي لوكهند وإلا إدارة التحريـــر لـــ " تقافة الهد" حلفاً لعبد الرزاق من عام ١٩٥٩م حتى عام ١٩٧١م ونائب مـــنابه الأســـتاذ الدكتور سيد مقبول أحمد والذي استمرت فترة إدارته إلى عام ١٩٨٤م تقريباً وخليفته الأستاذ نثار أحمد الفاروقي حتى عام ١٩٩٥م.[٧]

ويعتبر الشيخ عبد الرزاق اللكهنوي الندوي من رواد الصحافة العربية في الهند في القـــرن العشرين وهو من مواليد قرية مليح آباد التابعة لمدينة لكهنو وأكمل تعليمه في دار العلوم التابعة لندوة العلماء فـــــــي لكهنو. وتولى شمعون طيب علي لوكهند وإلا إدارة التحريـــر لـــ " تقافة الهد" خلفاً للشيخ عبد الرزاق من عام ١٩٥٩م حتى عام ١٩٧١م وناب منابه الأستاذ الدكتور سيد مقبول أحمد والذي استمرت فترة إدارته إلى عام ١٩٨٤ م تقـــريباً. وحلفـــه الأستاذ الدكتور نثار أحمد الفاروقي حتى عام ١٩٩٥ك واستطاع أن يـــنقل إلى العالم العربي التقافة الهندية التي أسهم فيها الهنود وخاصة الهنود المسلمون على طريق أفضل. ولكن لأسباب فنية تأخرت بعض أعداد عام ١٩٩٤م و١٩٩٥م في الظهور. وقام الأستاد زبير أحمد الفاروقي بإدارة التحرير بعده وصدرت المجلة بانتظام وعلى مستوى جـــيد إلى بدايـــة العام ٢٠٠١، وقد استدارت إدارة التحرير إلى دورهما الكاملة إذ تولى الأســـتاذ ســـيد ضياء الحسن الندوي إدارة تحرير المجلة الذي هو أيضاً ينتسب إلى مديرية

لكهنو التي كان الشيخ عبد الرزاق المدير الأول للمجلة ينتسب إليها وكذلك أكمل تعليمه في دار العلوم التابعة لندوة العلماء مثله.[8]

وتهتم ثقافة الهند بالإضافة إلى اهتمامها بالحضارة الهندية قديما وحديثاً بنشر في الأدب والسياسة والتاريخ والاجتماع وتعتمد المجلة في كثير من مقالاتها على الترجمة من اللغات المختلفة كالإنجليزية والأردية والهندية والبنغالية وغيرها من لغات الهند الأخرى إلى اللغة العربية و تهتم المجلة أيضا على أن تشتمل على مقالة أو مقالتين على الأقل كتبت أصلاً في اللغة العربية أي تكون غير مترجمة، وعلاوة على الهنود، هنالك بعض الكتاب والمفكرين العرب قاموا بكتابة مقالات تتعلق بالحضارة الهندية أو بآدابها ولغاتها ونشرها على صفحاتها وهذا يدل على أن المجلة تبدي الاهتمام بالتبادل الثقافي والفكري من خلال صفحاتها أو بألفاظ أخرى لا تدعو فقط للتبادل الثقافي بين الهند وغيرها من البلدان العربية بل تعتبر هي نفسها نموذجا لهذا التبادل والاحتكاك الثقافي.[9]

إن تقافة الهند نالت إعجاباً وقبولا بين العرب والعالم العربي. أرسلت رسائل عديدة إلى المجلس الهندي للعلاقات الثقافية تقديراً بها. وممثلو الدول الشرقية الشقيقة يرحبون بـ " ثقافة الهد". وكتب اسماعيل كامل بك من المملكة المصرية رسالة وفيها:

" ثقافة الهند ستخدم من يقرأها باهتمام لا في الشرق الأوسط فسحب، بل في البلاد الأخرى التي يتكلم جزء من سكانها باللغة العربية كبعض إندونيسيين وكالأقلية العربية في إندونيسيا."[10]

وهذه بعض المقالات التي نشرتها " ثقافة الهند" على صفحاتها في أعدادها المختلفة:

المقالات	المؤلفون
شخصية " ذي القرنين " المذكور في القرآن	مولانا أزاد
العلاقات التجارية بين العرب والهند	السيد سليمان الندوي
العرب المسلمون الذي قدموا إلى الهند في القرن الأول	السيد عبد الحيء
العلاقات الثقافية بين الهند والشرق الأوسط	وي - أيس أكروالا
المثل الأعلى الذي يرمي إليه الدين الهندوسي	حفظ الدين السيد

الأدب الهندي المعاصر	محي الدين الألوائي
مساهمة الهند في الثقافة العالمية	السيد احتشام الندوي
تجارة المسلمين البحرية وظهور الإسلام في اندونيسيا	يوكاتجار ندر أساس ميتا
الروابط الثقافية العلمية قديما بين الهند والعرب	القاضي أطهر مباركبوري
الدراسة العربية " بكيرالا"	أبو الصلاح
التأثير الهندي والعربي على إندونيسيا	محمد حسين نينار الدكتور
كاليداس	محمد سليمان أشرف
نبذة من حياة خواجه باقي بالله الدهلوي	الشيخ نسيم أحمد الفريدي
البيروني ومعرفته باللغة السنسكريتية	سونيتي كمار تشنارجي
أنت وحدك .... لا غير (قصة قصيرة)	بشيشر براديب الدكتور

المدخل لكتاب طمأنينة النفس (جزء من كتاب السيح المقدس)	محمد سليمان أشرف الدكتور
أهمية القصة في التربية والتعليم	د/ شفيق أحمد الندوي
قصة الجلد	كملا ديفي شتوبادهيا
السائحون	جنجا برشاد فيمل
نوادر الهند	د/ شريف حسين القاسمي
مائة سنة لفن الرسم الهندي	د/ أنيس الفاروقي
عندما تتحرك الحياة الساكنة	داريوس كوير
شفاء العليل	د/ نثار أحمد الفاروقي
التصوف باللغة السندية	د/ هـ أي – سادارنكاني
العالم العربي والرحالة الهنود : رحلة الأمير رفيع الدين خان المرادآبادي	المفتي نسيم أحمد
المقريزي وكتابه " المقفى الكبير"	د/ مختار الدين أحمد

بعض المشاكل لتغطية التنمية من قبل الصحافة	أتش. وائي. شاردابراساد
الشيخ علي المهمائمي حياته وآثاره	محمد أرشد الأعظمي الندوي
الألفاظ الهندية والفارسية في لغة حوصى	شيث محمد إسماعيل الأعظمي
مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي	د/ زبير أحمد الفاروقي
الرواية في الهند	السيدة عصمت مهدي
تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها دراسة تحليلية	د/ فيضان الله الفاروقي
مساهمة العلماء الهنود في اللغة العربية وآدابها	السيد مظفر حسين برني
وحدة في الاختلاف	همايون كبير
أشعار لم تنشر لأبي العتاهية	الدكتور مختار الدين أحمد
أهمية اللغة العربية ومشاكل تدريسها في	د/ محمد مهدي الأنصاري

الهند	
أثر الهند في تكوين شخصية المستشرق آرنلد	د/ عبد الباري
مستقبل اللغة العربية في الهند المعاصرة	د/ مقتدى حسن محمد ياسين الأزهري
الدكتور أحمد أمين وكتابه زعماء الإصلاح	محمد أرشد الأعظمي
الشيخ إمداد الله المهاجر المكي	نجم الهادي
وظائف المعلمين في التعليم العالي	البروفيسور مونس رضا ومارجوري فرنانديس
الشاه عبد الرحيم الدهلوي	المفتي نسيم أحمد الفريدي
مكتبات العلوم الشرقية في الهند	شهاب الدين الأنصاري
السير سيد أحمد خان وحركة عليجر	عشرت على قريشي
علل التراث المورروث	البروفيسور مونس رضا
الشاه اسماعيل الشهيد الدهلوي	المفتي نسيم أحمد الفريدي

الملا محمود الجونفوري وخدماته العلمية	مولانا محمد عرفان الندوي
مخاديم فنان ومساهمتهم في الأدب العربي	د/ إ.ك. أحمد كوتي
تأثير اللغات الهندية على العربية العامية المستعملة بالخليج العربي	د/ محمد حسان خان
الملامح الهندبة في اللغة العربية وآدابها	شيث محمد اسمعيل الأعظمي
الشـــيخ رشيد رضا المصري والدراسة لأرائه الدينة والسياسية	البروفيسور محمد راشد الندوي
محاضرات المرحوم صلاح عبد الصبور	ب.ك. ناراين
التعليم والمستقبل : نظرة عابرة	البروفيسور مونس رضا
القيم الأدبيه في عصر التكنولوحيا	شانتي نات ك. ديساي
الأدب والتعير الاجتماعي : وجهة نظر اجتماعية	يوكيندرا سينغ
أحمـــد أمين من أبرز الكتاب المصريين النابغين	د/ مختار الدين أحمد

الشيخ محمد قاسم النانوتوي شاعراً	المفتي نسيم أحمد الفريدي
نبذة عن حياة إقبال الشاعر الفيلسوف	د/ محمد أسلم الإصلاحي
المدارس العربية البارزة في "تمل نادو" القديمة والجديدة	كاوش بدري
أبعاد الإسلام السياسية – الاجتماعية	كريستيان دبليو ترول
كتاب القانون لإبن سيا ومقارنته بالحاوي في الطب للرازي	صيانت الله الطبيب
التبادل الثقافي بين الهند والعرب	محمد أكرم الندوي
المسرح وتاريخ المسرح العربي	د/ محمد أسلم الإصلاحي
النيل في الهند	د/ محمد خليفة غانم
حل التضاد في توقيت سيرة خير العباد	الفقيد إسحاق النبي العلوي
ندوة العلماء عبر التاريخ	أفتاب عالم الندوي
الهند والشرق الأدنى من القرن الثالث	د/ ضياء الدين ديسائي

عشر إلى القرن الخامس عشر	
تأثير العربية على اللغة البنجابية	د/ ستياناندا جاوا
المدارس القديمة برامفور	محمد شعائر الله خان
الحقوق والمسؤولية الإنسانية في المجتمع العالمي	السيد مظفر حسين برني
علاقات الهند مع دول الشرق الأوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر	د/ ضياء الدين ديسائي
تطور الشعر العربي في الهند	د/ محمد أسلم الإصلاحي
عرض وتحليل للمناهج الدراسية المتبعة للغة العربية في الكليات والجامعات في ولاية مدهيا براديش	د/ محمد حسان خان
مشكلة تدريس اللغة العربية الحديثة في الجامعات الهندية	د/ محمد راشد الندوي

الشيخ عبد الحي الفرنجي محلي : حياته وآثاره	د/ غلام مرسلين
مســـاهمة أودهـــ في خدمة اللغة العربية وآدابها	د/ مسعود أنور العلوي الكاكوري
مكتبة خدا بخش الشرقية العامة	راشد علي
مشاكل تعليم اللغة العربية في الهند	د/ نثار أحمد الفاروقي
مساهمة المسلمين في الأدب السنسكريتي	شميم أحمد
اللغة العربية وعلومها في الهند	زبيد أحمد
بين اللغتين العربية والسنسكريتية التعليم الأساسي والاجتماعي	الأستاذ مهيش برشاد
اللغة العربية وعلومها في الهند	الاستاذ زبيد أحمد
بـــين اللغـــتين : العربية والسنسكريتية التعليم الأساسي والاجتماعي	الأستاذ مهيش برشاد
الخطـــوط الرئيســـية في الأدب العربي	الأستاذ إبراهيم عام

المعاصر	
المصادر الهندية لكتب الجواهر العربية	د/ محمد يحيى الهاشمي، سوريا
المسلمون في الهند	همايون كبير
البضائع الهندية وأسمائها العربية	اسعد محمد يوسف
الطاقة الإيحائية في الكلمات العربية	صفا حيدري
أبو الريحان البيروني و جغرافية العالم	مولانا أبو الكلام أزاد
إلى الأدب العربي	د/ زبيد أحمد
البلاد العربية	سيد محمود
الهند والعالم العربي	محمد شفيع الأجواني
الوضع اللغوي في الهند	
مساهمة الوسائل الغاندية ونظرياته	مولانا أبو الكلام أزاد
أكاديمية الموسيقى و الرقص والتمتبل	مولانا أبو الكلام آزاد

المراجع:

[1] - د/ أيوب تاج الدين الندوي: الصحافة العربية في الهند- نشأتها وتطورها، راجندر بازار، جامو، الهند، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٧، ص: ١١٢

[2] - مجلة " ثقافة الهند"، ج:١، عدد:١، ص: ٤-٥

[3] - المرجع السابق، ص: ٦-٧

[4] - د/ أيوب تاج الدين الندوي: الصحافة العربية في الهند- نشأتها وتطورها، راجندر بازار، جامو، الهند، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٧، ص: ١١٣

[5] - المرجع السابق

[6] - ثقافة الهد، ج:١، عدد:١، ص:٢

[7] - ثقافة الهند، ج:٥٢، ع:٢، ص:٦٨

[8] - المرجع السابق، ص: ٦٨-٦٩

[9] -د/ أيوب تاج الدين الندوي: الصحافة العربية في الهند- نشأتها وتطورها، راجندر بازار، جامو، الهند، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٧، ص:١١٤-١١٥

[10] - ثقافة لهند، ج:١، ع:٤، ١٩٥٠، ص:٢

المراجع والمصادر

١-القرآن الكريم

٢- **آثار ابو الكلام** : قاضي محمد عبد الغفار، آزاد كتاب كهر، كلان محل، دهلي ١٩٦٣م

٣- **انــوار ابو الكلام آزاد**: علي جواد زيدي (مرتب)، ثقافتي سب كميتي جشن بهار، كشمير ١٩٥٩م

٤- ابو الكلام آزاد: **عرش ملسياني**، ببليكيشتر دويزن، بتيالة هاؤس، دهلي ١٩٧٤م

٥- **آزاد كــي كهــاني خود آزاد كي زباني**: مليح آبادي، حالي ببلشنك هاؤس، دهلي ١٩٥٨م

٦- **ابــو الكــلام آزاد**: عــبد الله بت (مرتب)، قومي كتب خانة، لاهور ١٩٤٣م

٧- **حــيات ابو الكلام آزاد**: عبد القوي دسنوي، مودرن ببلشنك هاؤس، نئي دهلي ٢٠٠٠م

٨- **تــبركات آزاد: غلام رسول مهر**، ادبي دنيا، اردو بازار، دهلي ستمبر ١٩٦٣م

٩- **تذكرة**: مالك رام (مرتبٗ)، ساهتية اكادمي نئي دهلي ١٩٨١م

١٠- **تاريخ الاستاذ الامام**: رشيد رضا، مصر ١٩٣١م (العربية)

١١- **خطبات آزاد**: مالك رام (مرتب)، ساهتية اكادمي، نئي دهلي ١٩٧٤م

١٢- **صـــدر يـــار جنك:** شمس تبريز خان، مكتبة دار العلوم ندوة العلماء، لكهنئو ١٩٧٢م
١٣- **غبار خاطر:** مالك رام (مرتب)، ساهتية اكادمي، نئي دهلي ١٩٦٧م
١٤- **قول فيصل:** مولانا آزاد، نيا ادارة دهلي
١٥- **كاروان خيال (مجموعة خطوط):** عبد الشاهد خان شيرواني، مدينة بريس، بجنور ١٩٤٦م
١٦- **مـــولانا آزاد ايـــك سياســـي دائري:** أثر بن يحيى انصاري، عالية ببليكيشنز، دهولية ١٩٨٢م
١٧- **مولانا ابو الكلام آزاد:** ابو سعيد بزمي، اقبال اكيدمي، لاهور
١٨- **مـــولانا ابو الكلام آزاد فكر و فن:** الدكتور ملك زادة منظور احمد، نسيم بك دبو، لاتوس رود، لكهنئو اكتوبر ١٩٧٨م
١٩- **مـــولانا ابـــو الكلام آزاد شخصيت اور كارنامى:** خليق انجم (مرتب) اردو اكادمي، دهلي ١٩٨٦م
٢٠- **مقالات لسان الصدق:** عبد القوي دسنوي (مرتب)، نسيم بك دبو، لكهنئو ١٩٦٨م
٢١- **مضامين ابو الكلام آزاد:** منشي مشتاق احمد (مرتب)
٢٢- **نقـــش آزاد:** غلام رسول مهر (مرتب)، كتاب منزل لاهور، اكتوبر ١٩٥٨م
٢٣- **همـــاري آزادي:** محمـــد مجيب (مترجم)، اورينت لونك مين، فبراير ١٩٦١م
٢٤- **الدين والسياسة:** أبو الكلام آزاد، مالك كتب خانه، بيجنور
٢٥- **أمر بالمعروف:** الهلال بك ايجنسي، لاهور، ١٩٤٦
٢٦- **اسلام اور نيشنلزم:** البلاغ بك أيجنسي، لاهور، ١٩٢٩

٢٧- **ترجمان القرآن**: أبو الكلام آزاد، تحقيق: مالك رام، ساهتية أكاديمي، نيودلهي ١٩٦٤-١٩٧٦

٢٨- **ذكر آزاد**: عبد الرزاق مليح آبادي، دفتر آزاد هند، كولكاته، ١٩٦٠

٢٩- **مولانا آزاد – آزادي كي طرف**: ضياء الحسن فاروقي، الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي، ٢٠٠١

٣٠- **الصـــحافة العـــربية في الهند** – نشأهّا وتطورها: د أيوب تاج الدين الندوي، ٤٤، راجندر بازار، جامو، ١٩٩٧

٣١- **أبـــو الكلام آزاد**: ضياء الدين اصلاحي، دار المصنفين، أعظم كره، ١٩٩٨

٣٢- **التراث الهندي**: همايون كبير، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي

٣٣- **India Wins Freedom:**Abul Kalam Azad. Orient Longman, Madras, 1988

٣٤- **India's Maulana:**Ed. Syeda Saiyden Hameed, Indian Council For Cultural Relations, 1990

٣٥- **Islam in India:**Ed. Asghar Ali Engineer CCR, 2002

المجلات :

١- **الهلال**، كولكاتا، مكمل فائل

٢- **البلاغ**، كولكاتا، مكمل فائل

٣- **الهـــلال**، اسبوعية (المجلـــد ١-٨) مديـــر التحرير ابو الكلام آزاد، اترابراديش اردو اكاديمي، لكناؤ ١٩٨٨م

٤- **ابـــوان اردو دهلي**، شهرية (المجلد ٢، العدد ٨) اردو اكاديمي، دهلي سبتمبر ١٩٨٨،

٥- **سويرا**، العدد ... لاهور

٦- **اسلام اور عصر جديد**(المجلد ٣٣، العدد ٣و٤) يونيو، اكتوبر ٢٠٠١م

٧- **ثقافة الهند** عدد ممتاز عن مولانا أبو الكلام آزاد، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي .

٨- **مجلة " الجامعة" العربية** من العدد الأول إلى العدد الأخير

Contribution
Of
Maulana Abul Kalam Azad
To
Arabic Journalism in India

Presented by:

Suhaib Alam